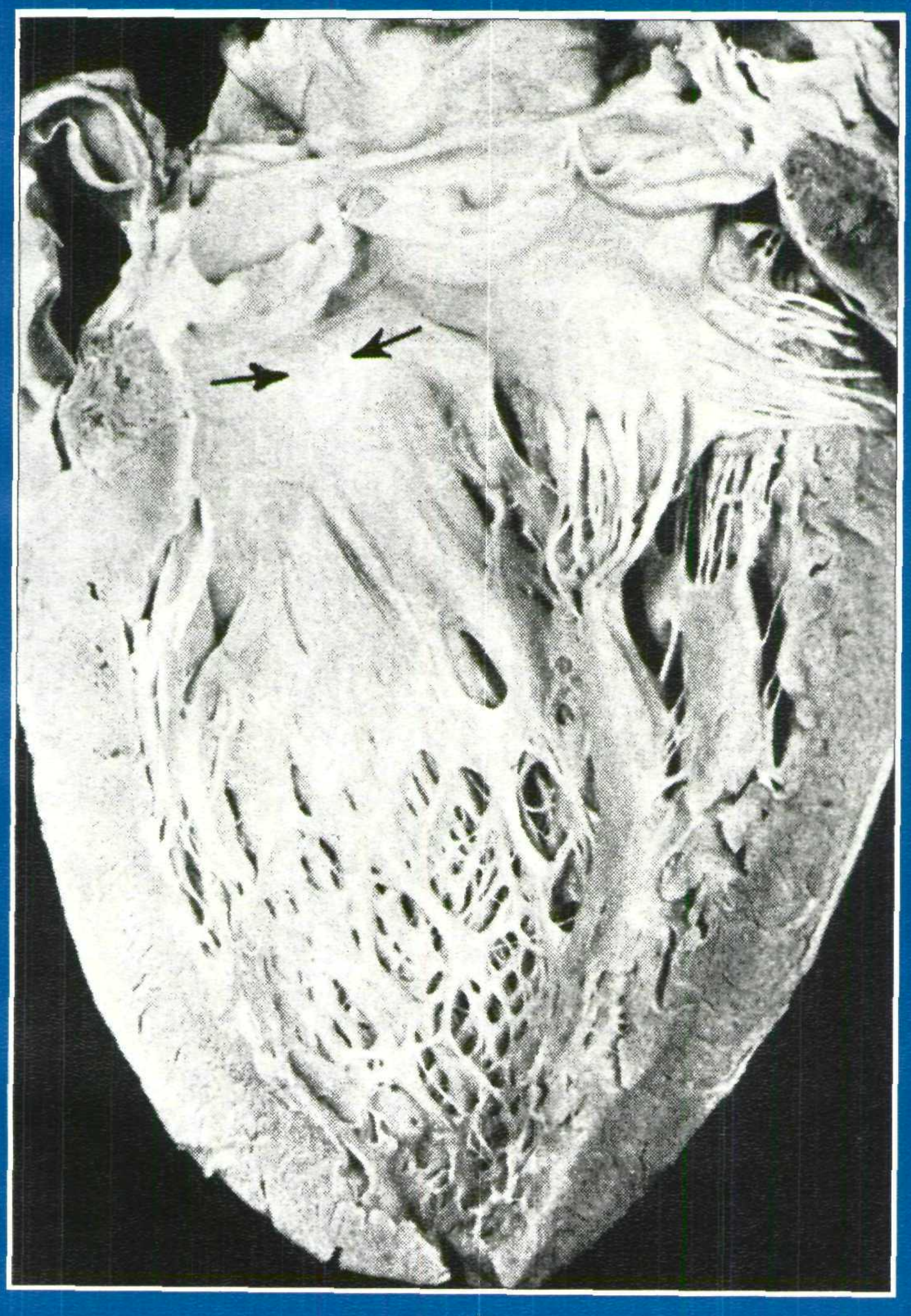
قافلة الزيت

محرّم ١٣٩٩هـ (ديسمبر ١٩٧٨م)





مقطع للقلب يظهر البطين الأيسر .

« راجع مقال حمّى الروماتزم »

١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م

أرامكو

محرم

	د يسمبر				ديسمبر
السبت		٢ ٢	٩ ٩	١٦ ١٦	٢٣ ٢٣
الأحد		٣ ٣	١٠ ١٠	١٧ ١٧	٢٤ ٢٤
الاثنين		٤ ٤	١١ ١١	١٨ ١٨	٢٥ ٢٥
الثلاثاء		٥ ٥	١٢ ١٢	١٩ ١٩	٢٦ ٢٦
الاربعاء		٦ ٦	١٣ ١٣	٢٠ ٢٠	٢٧ ٢٧
الخميس		٧ ٧	١٤ ١٤	٢١ ٢١	٢٨ ٢٨
الجمعة	١ ١	٨ ٨	١٥ ١٥	٢٢ ٢٢	٢٩ ٢٩

صفر

	ديسمبر				يناير
السبت	١ ٣٠	٨ ٦	١٥ ١٣	٢٢ ٢٠	٢٩ ٢٧
الأحد	٢ ٣١	٩ ٧	١٦ ١٤	٢٣ ٢١	٣٠ ٢٨
الاثنين	٣ ١	١٠ ٨	١٧ ١٥	٢٤ ٢٢	
الثلاثاء	٤ ٢	١١ ٩	١٨ ١٦	٢٥ ٢٣	
الاربعاء	٥ ٣	١٢ ١٠	١٩ ١٧	٢٦ ٢٤	
الخميس	٦ ٤	١٣ ١١	٢٠ ١٨	٢٧ ٢٥	
الجمعة	٧ ٥	١٤ ١٢	٢١ ١٩	٢٨ ٢٦	

ربيع الأول

	يناير				فبراير
السبت		٦ ٣	١٣ ١٠	٢٠ ١٧	٢٧ ٢٤
الأحد		٧ ٤	١٤ ١١	٢١ ١٨	٢٨ ٢٥
الاثنين	١ ٢٩	٨ ٥	١٥ ١٢	٢٢ ١٩	٢٩ ٢٦
الثلاثاء	٢ ٣٠	٩ ٦	١٦ ١٣	٢٣ ٢٠	
الاربعاء	٣ ٣١	١٠ ٧	١٧ ١٤	٢٤ ٢١	
الخميس	٤ ١	١١ ٨	١٨ ١٥	٢٥ ٢٢	
الجمعة	٥ ٢	١٢ ٩	١٩ ١٦	٢٦ ٢٣	

ربيع الثاني

	فبراير				مارس
السبت		٥ ٣	١٢ ١٠	١٩ ١٧	٢٦ ٢٤
الأحد		٦ ٤	١٣ ١١	٢٠ ١٨	٢٧ ٢٥
الاثنين		٧ ٥	١٤ ١٢	٢١ ١٩	٢٨ ٢٦
الثلاثاء	١ ٢٧	٨ ٦	١٥ ١٣	٢٢ ٢٠	٢٩ ٢٧
الاربعاء	٢ ٢٨	٩ ٧	١٦ ١٤	٢٣ ٢١	٣٠ ٢٨
الخميس	٣ ١	١٠ ٨	١٧ ١٥	٢٤ ٢٢	
الجمعة	٤ ٢	١١ ٩	١٨ ١٦	٢٥ ٢٣	

جمادى الأولى

	مارس				ابريل
السبت		٣ ٣١	١٠ ٧	١٧ ١٤	٢٤ ٢١
الأحد		٤ ١	١١ ٨	١٨ ١٥	٢٥ ٢٢
الاثنين		٥ ٢	١٢ ٩	١٩ ١٦	٢٦ ٢٣
الثلاثاء		٦ ٣	١٣ ١٠	٢٠ ١٧	٢٧ ٢٤
الاربعاء		٧ ٤	١٤ ١١	٢١ ١٨	٢٨ ٢٥
الخميس	١ ٢٩	٨ ٥	١٥ ١٢	٢٢ ١٩	٢٩ ٢٦
الجمعة	٢ ٣٠	٩ ٦	١٦ ١٣	٢٣ ٢٠	

جمادى الثانية

	ابريل				مايو
السبت		٢ ٢٨	٩ ٥	١٦ ١٢	٢٣/١٩ ٣٠/٢٦
الأحد		٣ ٢٩	١٠ ٦	١٧ ١٣	٢٤ ٢٠
الاثنين		٤ ٣٠	١١ ٧	١٨ ١٤	٢٥ ٢١
الثلاثاء		٥ ١	١٢ ٨	١٩ ١٥	٢٦ ٢٢
الاربعاء		٦ ٢	١٣ ٩	٢٠ ١٦	٢٧ ٢٣
الخميس		٧ ٣	١٤ ١٠	٢١ ١٧	٢٨ ٢٤
الجمعة	١ ٢٧	٨ ٤	١٥ ١١	٢٢ ١٨	٢٩ ٢٥

رجب

	مايو				يونيه
السبت		٧ ٢	١٤ ٩	٢١ ١٦	٢٨ ٢٣
الأحد	١ ٢٧	٨ ٣	١٥ ١٠	٢٢ ١٧	٢٩ ٢٤
الاثنين	٢ ٢٨	٩ ٤	١٦ ١١	٢٣ ١٨	
الثلاثاء	٣ ٢٩	١٠ ٥	١٧ ١٢	٢٤ ١٩	
الاربعاء	٤ ٣٠	١١ ٦	١٨ ١٣	٢٥ ٢٠	
الخميس	٥ ٣١	١٢ ٧	١٩ ١٤	٢٦ ٢١	
الجمعة	٦ ١	١٣ ٨	٢٠ ١٥	٢٧ ٢٢	

شعبان

	يونيه				يوليه
السبت		٦ ٣٠	١٣ ٧	٢٠ ١٤	٢٧ ٢١
الأحد		٧ ١	١٤ ٨	٢١ ١٥	٢٨ ٢٢
الاثنين	١ ٢٥	٨ ٢	١٥ ٩	٢٢ ١٦	٢٩ ٢٣
الثلاثاء	٢ ٢٦	٩ ٣	١٦ ١٠	٢٣ ١٧	٣٠ ٢٤
الاربعاء	٣ ٢٧	١٠ ٤	١٧ ١١	٢٤ ١٨	
الخميس	٤ ٢٨	١١ ٥	١٨ ١٢	٢٥ ١٩	
الجمعة	٥ ٢٩	١٢ ٦	١٩ ١٣	٢٦ ٢٠	

رمضان

	يوليه				اغسطس
السبت		٤ ٢٨	١١ ٤	١٨ ١١	٢٥ ١٨
الأحد		٥ ٢٩	١٢ ٥	١٩ ١٢	٢٦ ١٩
الاثنين		٦ ٣٠	١٣ ٦	٢٠ ١٣	٢٧ ٢٠
الثلاثاء		٧ ٣١	١٤ ٧	٢١ ١٤	٢٨ ٢١
الاربعاء	١ ٢٥	٨ ١	١٥ ٨	٢٢ ١٥	٢٩ ٢٢
الخميس	٢ ٢٦	٩ ٢	١٦ ٩	٢٣ ١٦	
الجمعة	٣ ٢٧	١٠ ٣	١٧ ١٠	٢٤ ١٧	

شوال

	اغسطس				سبتمبر
السبت		٣ ٢٥	١٠ ١	١٧ ٨	٢٤ ١٥
الأحد		٤ ٢٦	١١ ٢	١٨ ٩	٢٥ ١٦
الاثنين		٥ ٢٧	١٢ ٣	١٩ ١٠	٢٦ ١٧
الثلاثاء		٦ ٢٨	١٣ ٤	٢٠ ١١	٢٧ ١٨
الاربعاء		٧ ٢٩	١٤ ٥	٢١ ١٢	٢٨ ١٩
الخميس	١ ٢٣	٨ ٣٠	١٥ ٦	٢٢ ١٣	٢٩ ٢٠
الجمعة	٢ ٢٤	٩ ٣١	١٦ ٧	٢٣ ١٤	٣٠ ٢١

ذو القعدة

	سبتمبر				اكتوبر
السبت	١ ٢٢	٨ ٢٩	١٥ ٦	٢٢ ١٣	٢٩ ٢٠
الأحد	٢ ٢٣	٩ ٣٠	١٦ ٧	٢٣ ١٤	٣٠ ٢١
الاثنين	٣ ٢٤	١٠ ١	١٧ ٨	٢٤ ١٥	
الثلاثاء	٤ ٢٥	١١ ٢	١٨ ٩	٢٥ ١٦	
الاربعاء	٥ ٢٦	١٢ ٣	١٩ ١٠	٢٦ ١٧	
الخميس	٦ ٢٧	١٣ ٤	٢٠ ١١	٢٧ ١٨	
الجمعة	٧ ٢٨	١٤ ٥	٢١ ١٢	٢٨ ١٩	

ذو الحجة

	اكتوبر				نوفمبر
السبت		٦ ٢٧	١٣ ٣	٢٠ ١٠	٢٧ ١٧
الأحد		٧ ٢٨	١٤ ٤	٢١ ١١	٢٨ ١٨
الاثنين	١ ٢٢	٨ ٢٩	١٥ ٥	٢٢ ١٢	٢٩ ١٩
الثلاثاء	٢ ٢٣	٩ ٣٠	١٦ ٦	٢٣ ١٣	
الاربعاء	٣ ٢٤	١٠ ٣١	١٧ ٧	٢٤ ١٤	
الخميس	٤ ٢٥	١١ ١	١٨ ٨	٢٥ ١٥	
الجمعة	٥ ٢٦	١٢ ٢	١٩ ٩	٢٦ ١٦	

مع تحيات

قافلة الزيت

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

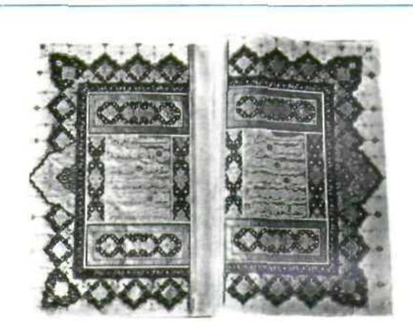
العدد الاول   المجلد السابع والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام • المدير المسؤول : اسماعيل ابراهيم نواب • رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي • المحرر المساعد : عوني أبو كشك





















تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

الايقاع الصوتي والتناسق الفني



القرآن كلام الله ، المعجز للخلق في بلاغته وأسلوبه ونظمه ، وفي تأثير هدايته ، وفي علومه وحكمه ، وفي كشف الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة . وفي كل باب من هذه الأبواب للاعجاز فصول ، وفي كل فصل منها فروع ترجع الى أصول . ولقد حار العلماء في كشف حجب البيان عن وجوه اعجاز القرآن ، فمن آيات هذا الاعجاز ما ذكروه تحت باب « **الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه . والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وابانة خطره .** »

هذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الاسلام وبعد ظهوره ، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة ، وآمن ، ومنهم من كفر . جاء في الصحيح عن جبير بن مُطْعِم ، قال : « سمعت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقرأ في المغرب : « **والطور . .** » فلما بلغ هذه الآية ، « **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون .** » (١) ، كاد قلبي أن يطير » . وفي رواية « وذلك أول ما دخل الايمان قلبي » .

وجاء في المصادر القديمة ، أن عتبة بن ربيعة كلم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما جاء به من خلاف قومه ، فتلا عليهم « **حم فصلت . .** » الى قوله « **صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** » (٢) فأمسك عتبة بيده على في النبي — صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحم أن يكف . . » . وفي رواية : فجعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما حتى انتهى الى السجدة (٣) ، فسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ، ورجع الى أهله . ولم يخرج الى قومه حتى أتوه ، فاعتذر لهم ، وقال : « لقد كلمني بكلام الله ما سمعت أذناي بمثله قط ، فما دريت ما أقول له » .

وحكي عن بعضهم أنه كان اذا أخذ المصحف بيده يغشى عليه من هيبته . . **فما السر في ذلك ؟**

ما سر روعة القرآن تلك ؟

يستطيع الباحث المدقق ، والقارىء المتأمل ، أن يقف على أشياء كثيرة وعوامل عديدة ، يمكن أن تكون وراء هذه الروعة . . ولقد زخرت كتب القدماء والمحدثين ، بالحديث عن هذه الروعة وما تحويه ، وتحدثوا أيضاً عن الهيبة التي تعتري الانسان عند قراءته . .

ولكنني سأقف عند عنصر فريد ، وهو في رأيي — من أهم العناصر التي تبرز سر هذه الروعة وهذه الهيبة ، وتضع أمام بصائرنا وأبصارنا وجهاً جميلاً من وجوه الاعجاز القرآني . ان هذه الروعة وتلك الهيبة انما ترجع الى « **الايقاع الصوتي والتناسق الفني** » بين كلمات القرآن العظيم وآياته ، هذا

.. في القرآن العظيم

بقلم : الدكتور أحمد جمال العمري

التناسق . . وهذا الايقاع ، هو الذي أذهل سامعيه ، فلم يلبثوا حين وقعت على مسامعهم آياته ، أن يتحولوا عن رأيهم المعادي ، وأن يركنوا الى مسالمته ، صلى الله عليه وسلم ، ويدخلوا في دينه ، ثم صارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم ايماناً .

وما هذا التأثير النفسي الا آية من آيات الرحمن ، تشهد بعظمة وسحر هذا البيان الالهي ، الذي أودعه الله — سبحانه — مكنون كتابه ، ليشهد بعظيم آلائه ونعمائه . .

إن هذا القرآن العظيم ، يمتاز بأسلوب ايقاعي جميل ، مملوء نغماً وسحراً ، ففي كل سورة منه وآية ، وفي كل مقطع منه وفقرة ، وفي كل مشهد منه وقصة ، وفي كل مطلع منه وختام . نجد هذه الخصيصة البارزة الواضحة ، حتى ليعد من الخطأ الكبير في هذا المجال أن نفاضل فيه بين سورة وسورة ، أو نوازن بين مقطع ومقطع . . لكننا حين نشير الى تفرد سورة منه بنسق خاص ، وايقاع متميز . . انما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالأدلة ، وندعمها بالشواهد ، مؤكدين أن القرآن المجيد نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه ، الا أنه متنوع في ايقاعه الصوتي ، وتناسقه الفني .

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة ان رددنا سحر القرآن الى نسقه الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً . . » فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة ، والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن ، التي تغني عن التفاعيل ، والتقفية التي تغني عن القوافي ، وضم ذلك الى الخصائص التي ذكرناها ، فسبق النثر والنظم جميعاً (٤)

ان هذا الايقاع الصوتي ، لينبعث في القرآن المجيد حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل بجرسها ، بتصوير لوحة كاملة ، فيها اللون زاهياً أو خفيفاً ، وفيها الظل كثيفاً أو شفيفاً .

فلنقف قليلاً . . لنتأمل معاً هذه الصورة . .

— هل هناك لون ازهى وأبهى من نضرة الوجوه السعيدة ، الناظرة الى خالقها . . ؟

— وهل هناك لون أشد تجهماً من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة ، في قول الحق عز شأنه « **وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة** »(٥) .

لقد استقلت في لوحة السعداء لفظة « **ناضرة** » بتصوير أزهى لون وأبهاه . . كما استقلت في لوحة التعساء لفظة « **باسرة** » برسم أمقت لون وأنكاه . . هذه واحدة .

ولنستمع معاً الى همسات السين المتعاقبة المكررة . . فاننا لنكاد نستشف نعومة ظلها ، مثلما نستريح الى خفة وقعها في قوله جل شأنه : « **فلا أقسم بالخنس ، الجواري الكنس ، والليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس** » (٦) .

بينما تقع الرهبة في أعماقنا ونحن نسمع لاهثين مكروبين صوت « الدال » المنذرة المتوعدة ، مسبوقة « بالياء » المشبعة المديدة ، في لفظة « تحيد » بدلاً من « تنحرف » او تبتعد » في قوله سبحانه : « **وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد** »(٧) .

ولنقرأ معاً قوله تعالى: « **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** »(٨) . فلا ترى في المعجم غير كلمة « **زحزح** » لتصور مشهد الابعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات . وما يصاحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ، ويسمعه ويكاد يصلاه .

وليأخذنك من الغيظ مثل ما يأخذ جهنم حتى تتسمع لفظ « تميز » من قوله تعالى: « **تكاد تميز من الغيظ** »(٩)

وليستولين عليك القلق وأنت تكرر « هاء » السكت في أكثر فواصل سورة « الحاقة » فتنسى وأنت تتلو قوله تعالى « **ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه** » (١٠) . ان الذي هلك سلطانه — من أوتى كتابه بشماله . فتظل من الآيات في قلق شديد .

وما أحسب شفتيك الا منقبضتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده ولا يكاد يسيغه في قوله جل وعلا « **ويسقى من ماء صديد ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه** »(١١) فتستشعر في لفظ « التجرّع » ثقلاً وبطءاً يدعوان الى الكراهية .

ولا أحسبك الا مستشعراً عنف لفظة « الكبكبة » في قوله سبحانه : « **فكبكبوا فيهـا هم والغاوون** » (١٢) حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوهم ، أو على مناخرهم ، ويلقون القاء المهملين ، فلا يقيم أحد لهم وزناً .

فان يك هذا كله في اللفظة المفردة ، تعبّر مستقلة عن لوحة كاملة ، فكيف **بالآية التي تتناسق في جوّها الكلمات ، أو في السورة التي تنسجم حول فكرتها جميع الآيات !**

من ذا الذي يقرأ قوله تعالى « **يرسل عليكما شُواظ من نـار ونحاس فـلا تنتصران** » (١٣) ثم لا يتخيل في جوّ هذه الآية وحدها الشواظ الناري يتطاير ، والنحاس الملتهب يذوب فوق رؤوس المجرمين ، وهم يحاولون النفاذ من أقطار السموات . . . ؟

ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن العظيم ، طويلة أو قصيرة ، مكية أو مدنية ، ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبه ، ويهز ايقاعها العجيب مشاعره . . ؟

ان المرء اذا سمع مثلاً « سورة الرحمن » فيتساءل :

هل انبعث ايقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها ، أم من خلال آياتها ؟ واذا هو يدرك أن الايقاع المنتظم يسري فيهـا كلها . . في فواصلها ومقاطعها ، وفي ألفاظها وحروفها ، وفي انسياقها وانسيابها ، حتى لو انتقى على حدة مقطعاً واحداً من مقاطعها ، أو موضوعاً واحداً من موضوعاتها الجزئية ، والتمس من أجزائه الايقاع والنغم ، لكان في كل جزء منه نغمة ، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء .

هذا هو الأساس الأول في الاعجاز الناجم عن الايقاع والتناسق . . وعلى هذا الأساس من انفراد القرآن بالحفاظ على تناسقه الايقاعي ، سواء اجتمعت على تعاقب سورة وحدة كاملة ، أم اقتطعت بغير تعمد بعض اجزائه على حدة . . . على هذا الأساس يطيب لنا الآن ان ننتخب من سور قرآنية متنوعة بعض مواقف الدعاء ، لنستدل منها على عظمة هذه الآية الاعجازية ، التي تطوف بنا على مواطن السحر في ايقاعه الجذّاب .

ونحن نعرف أن الدعاء بطبيعته نمط من النشيد الصاعد الى السماء ، ولا يحلو وقعه في نفس المتضرع المبتهل الا أن تكون ألفاظه منتقاة ، وايقاعه منتظم . .

فلا غرو اذاً — أن وجدنا الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، في دعائه المأثور كان كالحريص على شيء من التقطيع المقصود ، من سجع هين أو طباق رشيق ، أو رنة خاشعة ، حين دعا ربه :

اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن .
وأعوذ بك من العجز والكسل .
وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .
اللهم اني أعوذ بك من الفقر الا اليك .
ومن الـذل الا لك .
ومن الخوف الا منك .
وأعوذ بك أن أقول زوراً .
أو أغشى فجـوراً .
أو أكون بك مغروراً .
وأعوذ بك من شماتة الأعداء .
وعضـال الداء ..
وخيبة الرجـاء .
اللهم اني أعوذ بك من شر الخلق ..
وهم الـرزق ..
وسوء الخـلق ..
يا أرحـم الراحمين ..
يـارب العالمين ..

وأما القرآن العظيم . . فلم ينطق — على لسان النبيين والصديقين والصالحين — الا بأحلى الدعاء نغماً ، وأروعه ايقاعاً ، وسحر بيان . . فاذا عرفنا أن ابتهال الصالحين — كما جاء في الكتاب المبين — أكثره رغباً أو رهباً ، طمعاً أو خوفاً ، استعجالاً لخير أو دفعاً لشر (١٤) — أدركنا سراً من أسرار الايقاع والتنغيم ، ينبعث من كل مقطع من مقاطع الذكر الحكيم .

فلنتصور معاً — ونحن نرتل معـاً دعاء زكريا — شيخاً جليلاً مهيباً ، على كل لفظة ينطق بها مسحة مـن رهبة ، وشعاع من نور .. ولنتمثل معاً — هذا الشيخ الجليل — على وقاره متأجج العاطفة ، متهدج الصوت ، طويل النفس ، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير .

ان زكريا في دعائه الى ربه ليذيب القلوب المتحجرة ، بتعبيره الصادق عن حزنه العميق خوفاً من انقطاع عقبه ، وهو قائم في المحراب ، يصلي .. وينادي اسم ربه نداء خفيّاً ، ويكرر اسم « ربه » بكرة وعشياً ، ويقول في لوعة الانسان المحروم ، وفي ايمان الصدّيق الصفي :

« **رب اني وهـن العظم مني ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيّا . واني خفت الموالي مـن**

ورائي وكانت امرأتي عاقرا ، فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا »(١٥) .

ان البيان لا يرقى هنا الى وصف العذوبة التي ينتهي اليها « الايقاع » في فاصلة كل آية بـ« يائها المشددة » وتنوينها المحول عند الموقف « ألفاً لينة » كأنها ألف الاطلاق في الشعر ، فهذه الألف اللينة الرخيّة المنسابة تناسقت بها « شقيا – وليا – رضيا » مع عبد الله ، زكريا ، ينادي ربه نداء خفيا ..

لقد استشعرنا هذا الجو الروحي كله ، ونحن نتصور نبياً يبتهل وحده في خلوة مع الله ، وكدنا نصغي الى ابتهالاته تـصاعد الى السماء .. فكيف بنا لو تصورنا جماعة من الصديقين الصالحين ، الذين وصفهم رب العزة من أولي الألباب « **الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض** » ، كيف بنا لو تصورنا هؤلاء جميعاً ، يشتركون ذكراناً واناثاً ، شيباً وشباناً ، بأصوات رقيقة متناسقة ، تصّعد معاً ، وتهبط معاً ، وهي تتوسل الى الله ، منشدة هذا النشيد الفخم الجليل .

« ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » ، « ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار » ، « ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا » ، « ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » ، « ربنا وآتنا مـا وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة « انك لا تخلف الميعاد »(١٦) .

ان في تكرار عبارة « ربنا » لما يلين القلب ، ويبعث فيه نداوة الايمان ، وان في الوقوف بالسكون على «الراء المذلقة» المسبوقة بهذه « الألف اللينة » لما يعين على الترنيم والترخيم ، ويعوض في الاسماع أحلى نبضات الايقاع الصوتي ، والتناسق الفني .

ولئن كان في موقفي الدعائين هذين نداوة وطلاوة .. ففي بعض مواقف الدعاء القرآنية الأخرى صخب رهيب ..

فلنستمع الى هدير نوح – عليه السلام – بعد أن دأب ليلاً ونهاراً على دعوة قومه الى الحق ، وداوم على اسداء النصح لهم سراً وعلانية ، وهم يلجون في عنادهم وكفرهم ، ويفرون من الهدى فراراً ، ولا يزدادون إلا ضلالاً واستكباراً ، فما كان من نوح – وقد يأس من صلاحهم – الا أن يتملكه الغيظ ، ويمتلىء فوه بكلمات الدعاء الهادرة الغضبى ، تنطلق في الوجود مجلجلة مدوية ، بهديرها الرهيب ، وايقاعهـا العنيف .. وما أظننا نتخيل الجبال الا مدكوكة ، والسماء الا متجهمة عابسة ، والأرض الا مهتزة مزلزلة ، والبحار الا هائجة ثائرة .. حين وقف نوح داعياً قومه بالهلاك والتبار :

« رب لا تذر على الأرض مـن الكافرين ديّارا » ، « انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجـراً كفّارا » ، « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا » (١٧) .

ان الايقاع الصوتي ، والتناسـق الفني ، يؤدّيان – في القـرآن العظيم – غرضه كاملاً غير منقوص ، يلين أو يشتد ، ويهدأ أو يهيج ، ينساب انسياباً كالماء اذ يسقي الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنه ريح عاتية ، تبهر الأنفاس .

وهكذا جعل الحكيم العليم بعض مفاهيم هذا الاعجاز في ايقاع كلمات .. وتناسق آيات وجعل هذه الكلمـات والآيات .. معجزات ومعجزات ، فحيث نظر ناظر في كتاب الله بقلب سليم ، وعقل متفتح ، ونفس مجتمعة وجد وراء كل آية معجزة أو معجزات ، وبهذا يتلقى المسلم آيات ربه على أضواء معجزات مشرقة نيرة ، تغمر بنورها الآفاق كلها من حوله ، فلا يرى الا نوراً علوياً يشرح صدره للحق ، ويفتح قلبه للايمان .

« ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نـور » .

د . أحمد جمال العمري
الجـامعة الاسلامية – المدينة المنورة .

(١) الآيات ٣٤ – ٣٧ .
(٢) سورة فصلت – آية ١٣ .
(٣) سورة السجدة – آية ٣٧ .
(٤) « التصوير الفني في القرآن » لسيد قطب .
(٥) سورة القيامة /٢٢ – ٢٥ .
(٦) سورة التكوير) ١٥ /١٨ .
(٧) سورة ق /١٩ .
(٨) سورة آل عمران ١٨٥ .
(٩) سورة فصلت ١٣ .
(١٠) سورة الحاقة /١٩ .
(١١) سورة ابراهيم /١٦ ، ١٧ .
(١٢) سورة الشعراء /٩٤ .
(١٣) سورة الرحمن /٣٥ .
(١٤) « احياء علوم الدين » ١ /٣٠١ وانظر كتاب « الاذكار والدعوات » .
(١٥) و (١٦) سورة آل عمران ١٩١ /١٩٤ .
(١٧) سورة نوح /٢٦ – ٢٨ .

العقل الانساني في

بقلم : الدكتور سعيد عطية أبوعالي

خضعت التربية على مر العصور وفي جميع مجالاتها لمبادرات علمية متعددة نتيجة البحث المستمر حتى غدت علماً له أسسه وتفرعاته وتشعباته وأصبح التربويون في ندواتهم ومؤتمراتهم ومناقشاتهم وجدلهم يحتكمون الى نظم وقوانين وأصول هذا العلم . وقد شهد النصف الثاني من القرن المنصرم وما يزال يشهد هذا القرن تحقيقات وانتاجات علمية غزيرة تتصل بالتربية. ولقد أضحت التربية علماً من علوم الحياة بل وأساساً ترتكز عليه الحياة في أساليبها واتجاهاتها المتعددة وتهتدي اليه وبه علوم الحياة الأخرى بفضل ما حققه البحث العلمي في هذا المجال .

لقد جاء اهتمام الانسان ، على مر العصور ، بالتربية لأنها الأداة التي بواسطتها أمكن ويمكن تطوير المعرفة الانسانية والاضافة اليها والمحافظة على القيم والتقاليد الاجتماعية وتحديد مسارات التطور الحياتي في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن هذا الترابط العضوي بين التربية والمعرفة تتضح أهمية التعلم باعتباره النشاط العقلي الذي تتركز وتتبلور حوله جميع الفعاليات التربوية داخل المدرسة وخارجها ، والتعلم في مضمونه نشاط عقلي يتمثل في التفاعل النشط بين المتعلم وبيئته المحيطة بما فيها المادة الدراسية او المعرفة التي هي هدف التعلم ، ويجدر بنا ونحن نكتب فيما يخص التربية وهمومها أن نتطرق الى البحث في نظرة الانسان الى العقل باعتباره العنصر الفاعل في عملية التعلم والتعليم وباعتبار المردود لهاتين القدرتين حيث يتبلور باستمرار في تطور المعرفة والاختراعات والاضافات التي تطرأ عليها في مختلف العصور .

بدأ الانسان يعلم صغاره عن طريق التلقين او الممارسة العملية لبعض الخبرات التي اكتسبها ويريد نقلها الى الشباب حتى يستفيدوا منها أو ينقلوها بدورهم الى الأجيال التالية . وبدأ الجيل الجديد يتعلم تلك الخبرات أو المعارف عن طريق الملاحظة والمحاكاة او الاستذكار. وبهذا الاسلوب بدأت المعرفة البشرية تأخذ شكلاً فكرياً يتزايد يوماً بعد يوم مما جعل الانسان في سالف العصور يعتقد أن عقل الطفل ما هو الا صفحة بيضاء يستطيع أن يرسم عليها ما يشاء . ونتيجة لذلك فقد كان المعلمون يختارون المادة الدراسية وطريقة تدريسها بغض النظر عن التلميذ الذي يستقبل تلك المعرفة ويدرسها . وهكذا غدت أساليب التربية لا تعدو كونها تلقيناً من جانب الراشدين وتقليداً من جانب الشباب مما قضى على عنصر التفوق والابداع وجمد المعرفة لعدة عصور عند نقطة معينة حيث لم يكن هناك مجال للابداع والاختراع والابتكار ولكن النظرة السابقة ما تزال تؤكد أن نظريات التعلم في تطويرها ترتكز على قاعدتين أساسيتين هما « الانسان وتصرفاته — Man and Behaviour » .

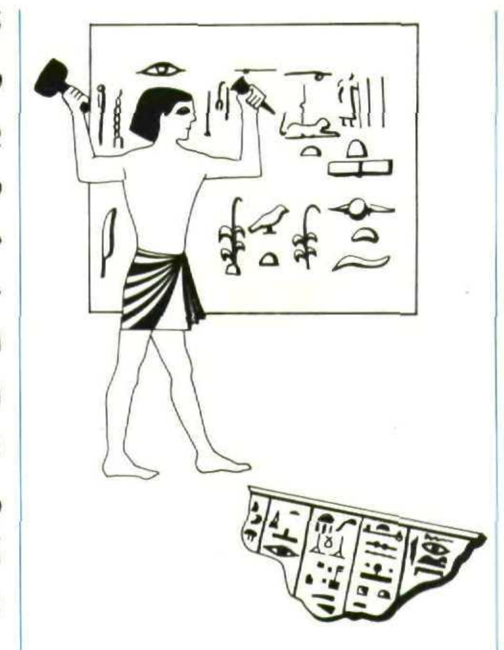
وفي القرن الماضي سيطرت فكرة « العضلات العقلية — Faculty Psychology » أو « القوى العقلية » ان



نظر علماء التربية

جاز التعبير على دنيـا التربية ، مما جعل الانسان ينظر الى العقل على أنه مجموعة من القوى والقدرات تضم التذكر والتخيل والتمحيص ، وان العقل في مجموعة قواه يشبه العضلات الجسمية ، وبالتالي يحتاج الى التمرين والتدريب المستمر حتى يغدو قادراً على أداء وظائف التذكر والتخيل والتمحيص . وذهب التربويون الى أكثر من ذلك ، فقد اعتبروا أنه كلما كانت المادة الدراسية صعبة وكلما كانت التمارين كثيرة ومكررة كان تمرين العضل العقلي أو « القوة العقلية » أكثر نجاحاً وأغزر عطاء ، فكانت اللغة وقواعدها والرياضيات وعلومها خير وسيلة لتدريب العقل ، ولسوء الحظ فان هذه الفكرة سادت الى درجة ان الفروق الفردية والتشجيع والتحفيز لاقت اهمالاً تاماً مما جعل الطلاب يميلون الى الحفظ والمحاكاة فقط .

ومع بداية القرن الحالي توصل الباحثون التربويون والنفسانيون الى نظرية مؤداها ان العقل ما هو الا مجموعة من الاستجابات الداخلية لمؤثرات خارجية معينة ، أو بتعبير آخر العقل أداة مؤثر واستجابة وانه بقدر المؤثر في كمه ونوعه ومكانه وزمانه تكون الاستجابة وعرفت هذه النظرية

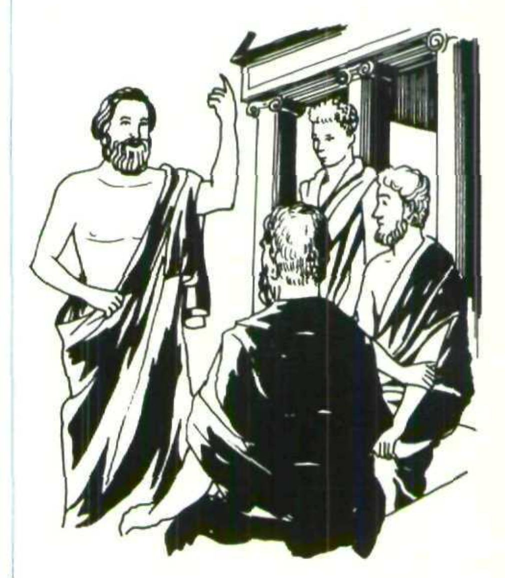


باسم النظرية « السلوكية — Behaviorism » حيث لاقت رواجاً كبيراً الى درجـة ان الجمعية الوطنيـة الأمريكية لدراسات التربية اعترفت بها وأقرت تطبيقهـا في كتابها الحادي والأربعين « علم النفس والتعلم » طبعة انديانا عام ١٩٤٢ . والواقع ان هذه النظرية واعتبار الانسان في عقله مجموعة من الاستجابات للمؤثرات الخارجية ما تزال تسيطر على عدد كبير من علماء التربية المرموقين . فقد قام العالمان « مورر » و « سكنر » بتأكيدهما وتطوير تطبيقاتها عن طريق التجارب المستمرة على الحيوانات المختلفة وتطبيق نتائج هذه التجارب في المدارس والمعاهد والجامعات في اطار ما عرف حديثاً بالسلوك الشرطي أو التكييف الاشراطي . . ومع تطور هذه النظرة فان العقل والتفكير ما يزالان يشغلان حيزاً محدوداً جداً في عمليات التعلم والتعليم لدرجة ان المبادرة الفردية تتحكـم فيهـا المؤثـرات المادية الخارجية في اطـار التكييف الاشراطي الى جانب العقاب والثواب . وتعتمد هذه النظرة على العقل الانساني في الملاحظة الخارجية لتصرفات الانسان ، الا ان هناك سلوكاً وفاعليات لا يمكن ملاحظتها ، مثل النية أو الهدف والتفكير والمحاكمة العقلية والتأمل والتخيل والقدرة على التحليل .

وتأتي المدرسة الالمانية « Gestalt » مستفيدة من تجارب النظريات السابقة ومتميزة عنها جميعاً اذ هي تنظر الى أن العقل كائن حي تظهر الدلائل على وجوده في قدرة الانسان على التبصر والذكاء والتنظيم والربط بين الأشياء . وتنظر هذه المدرسة الى الوظائف الأربع السابقة على انها تمثل العناصر الأساسية لاستجابة الانسان للبيئة المحيطة به سواء في أعلى تعقيداتها أو أبسط مظاهرها . والانسان في نظر هذه المدرسة مخلوق قادر على

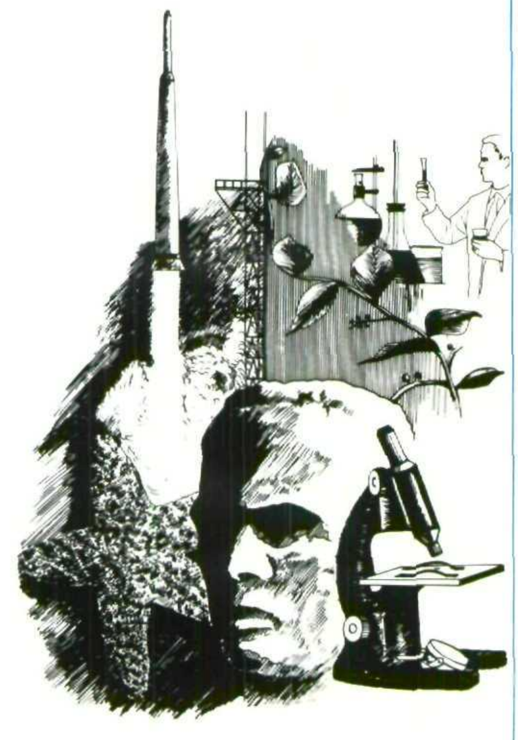
التكيف مع الظواهر الآنية في ضوء تجاربه السابقة ولذلك فان تفكيره محكوم دائماً بأهدافه وإدراكه وتوقعاته .

ولقد غدا رجال التربية في العقود الأخيرة من هذا القرن ينظرون الى العقل الانساني من خلال آثاره ونتائج فعالياته ونشاطاته حيث يتمثل في قدرة الانسان على الملاحظة والتذكر والتخيل والبديهيات والحس العام وتحديد الأهداف واستنباط النتائج والمحاكمة والمحاكاة والتمحيص والتحليل والمخاطرة والمغامرة والخلق والابداع وغير ذلك . ولا يمكن فصل قدرة أو قوة من القدرات المذكورة



سلفاً عن القدرات الأخرى مما يجعل النظرة الجديدة الى العقل نظرة اجمالية وشاملة تجمع بين مختلف القدرات وتستغلها جميعاً لاثارة الافكار والمقترحات ذات الصلة الوثيقة بأي مشكلة أو سؤال يمكن أن يؤدي أحدهما أو كلاهما الى حمل العقل على الاستنتاج والوصول الى الفكرة الصائبة .

مما تقدم نرى أن جميع المحاولات قد وقفت عاجزة عن استكناه العقل ووصفه . حيث انها قد نظرت الى العقل من خلال آثاره ونتائج فعالياته ، مع انها اختلفت في طرائق تفكيرها ، فمن ناظر الى العقل من الناحية الميكانيكية البحتة فيما عرف بالنظرية السلوكية ومن ناظر اليه من ناحية وصف « القدرات الادراكية — Cognitive Abilities » قد تميزت المدرسة الالمانية بهذا الاتجاه ، الا انها تتعامل مع حيز محدود فيما يتصل بالقدرات العقلية ، ووقفت عاجزة عن ادراك وملاحظة العواطف والاندفاع والتفكير وما شابه ذلك . وحتى يصل العلم الى معرفة كنه العقل وحقيقته فان الذي يعنينا في مجال التربية هنا أن نستفيد من العقل بترشيد ابنائنا وتلاميذنا الى استغلال القدرات العقلية واستخدامها من



أجل التفكير المبدع والبحث الدؤوب عن الحقيقة وادراك معالم الكون وتسخيرها لمصلحة الانسان .. وصدق الله العظيم حيث قال .. « **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك** » .

د . سعيد عطية أبو عالي
مدير عام التعليم بالمنطقة الشرقية — الدمام



على الدرب

للشاعر: طاهر زمخشري

السرى طال في خضم الليالي　　　وشراعي به وميض الرجاء

ورضيت القنوط قيداً لعزمي　　　ثم اسلمت مقودي للعراء

وأنا في الدروب احصد آمالي　　　وتلهو بها اكف العفاء

عن يميني وعن شمالي المتاهات وأمشي بمقلة عشواء

بعد أن طفت في الحياة بأوهامي .. فعادت بخطوتي للوراء

وجراحي تنوح في قبضة الصبر ، ويدمي تجلدي اعضائي

فاذا اوغلت بشوطي الأماني　　　حاد بي الوهم عن طريق السواء

وبصدري دفنت احلى رؤاها　　　وهي كانت تمدني بالرواء

أتغنّى ، ومعزف اللحن خفاف سخي الاداء والانداء

والترانيم هينمات الاحاسيس بطيب الهوى ، وحلو الصفاء

للفتون الممراح ، للفتنة اليقظى ، وللحس في وشاح الضياء

اتغنى ويلهم الحسن قيثاري ويذكي الشعور في اجزائي

ويناغي الفتون بالغنوة الحلوة من خافق نغوم الاداء

تتصباه راعشات جفون ناعسات تصيد بالايماء

كلما حدثت يبثّ الصبابات مجنوناً بنظرة استحياء

في تعابيرها مفاتن اغراء ، ومجلى سنا ومغنى بهاء

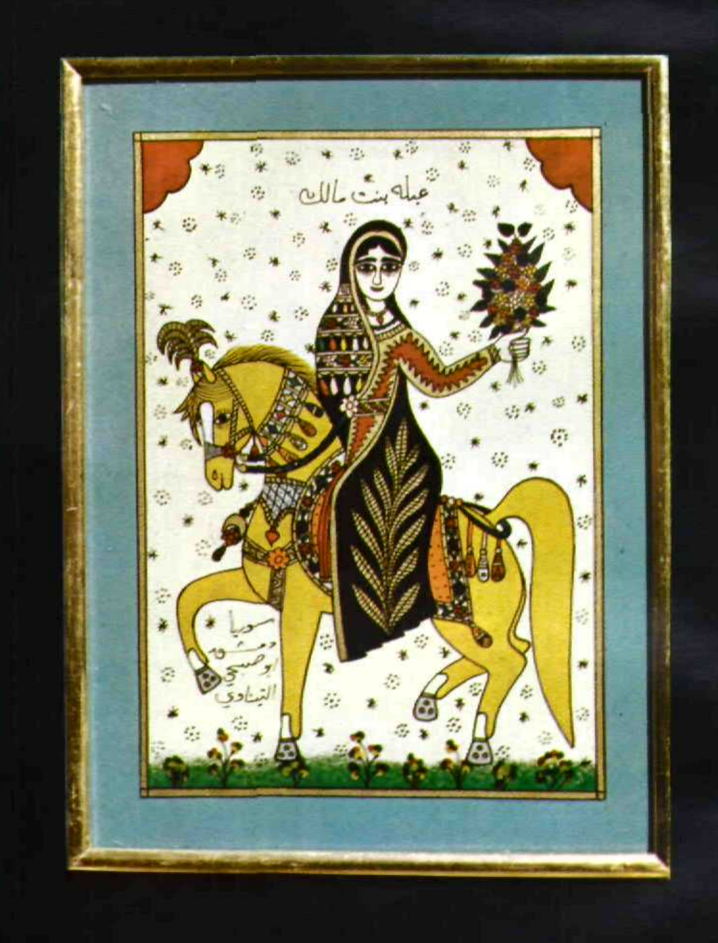
انا في سحرها اهيم من النشوة .. فوق الهدا البشوش المرائي



عنتر
عنتر ابن شداد
ابو صبحي

صناعة الزجاج وفن الرسم عليه

اشتهرت بلاد الشّرق وخاصة سوريا ومصر بصناعة الأواني الزجاجيّـ
منذ القدم ، يشهد على ذلك ما عثر عليه من تحف زجاجيّة يعو
تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد . ومع انتشار نور الإسلام أخذت
ترتقي هذه الصّناعة ، وراح الصّناع يمارسونها في جميع بلا
العالم الإسلامي بأساليب وزخارف متنوعة ، فازدهرت هذه
الصّناعة عبر العصور الإسلاميّة المتعاقبة ، وتفنن الصّناع في
زخرفة الأواني الزجاجيّة بتحليتها
بالرسومات الأخاذة ، والأشكال
الهندسية البديعة ، والكتابات
الكوفيّة الجميلة . ثمّ ران
على هذه الصّناعة ركود عا
في القرن الماضي ، بيد أنّ
في الآونة الأخيرة نشطت
هذه الصّناعة ومعها ظهر
فن الرسم على الزّجاج كفن
شعبي أخذ ينتعش وينتشر
مستمدًا موضوعاته الزخرفيّة من
قصص التراث العربي الغني
بمآثره وأحداثه .



في الأسواق الصاخبة ، والمقاهي المحلية ، والبيوت الشرقية الوثيرة ، في كثير من مدن بلدان الشرق الأوسط ، يستطيع كل من واكبه الحظ من الزائرين مشاهدة نماذج متنوعة من الفنون الشعبية الرائعة ، التي يعود تاريخها الى مئات السنين ، سيما وأنها اليوم تمر بمرحلة انعاش وتطوير . ومن بين هذه الفنون الشعبية الجميلة الرسم على الزجاج ، الذي يقوم على مرتكزات قوية تمتد جذورها الى أعماق التاريخ ، حيث كان هذا الجزء من العالم أول من عرف الزجاج وطريقة صنعه وتشكيله وزخرفته ، ومنه انتقلت هذه الصناعة الى أوروبا وبلدان الشرق الأقصى بالاحتكاك المباشر بالحضارة الاسلامية المتألقة في العصور الوسطى .

لا يعرف على وجه التحديد الموطن الأول للزجاج ، الا أن بعض المؤرخين وعلماء الآثار يرجحون أنه عرف أولاً في أرض الرافدين ومنها انتقل الى مصر . فقد اكتشف الزجاج في بابل حوالي سنة ٢٦٠٠ ق . م . ، ويعود الفضل في معرفته الى ملوك اكاد . أما معرفة الزجاج في مصر فتعود الى سنة ٢٥٠٠ ق . م . ، أي بعد الأسرة السادسة ، وكان يصنع على شكل مسابح يغلب عليها اللونان الأخضر والأزرق . وقد عثر على كثير من هذه المسابح في المعابد المصرية ومدافن الفراعنة . أما صناعة الأواني الزجاجية فلم تنتشر في مصر الا بعد سنة ١٥٠٠ ق . م . ، ووصلت صناعتها الى مرحلة فنية متقدمة ، يدل على ذلك مئات من الكِسَر الزجاجية التي عثر عليها في قصر « امنحوتب الثالث » في طيبة التي اشتهرت في عهد الأسرة الحادية عشرة ، وتقوم على انقاضها اليوم الكرنك والأقصر ، وكذلك القطع الزجاجية التي وجدت في مقر « أخناتون » في تل العمارنة . ومن مصر انتقلت صناعة الزجـاج الى سوريا في النصف الثاني من الألف الثاني ق . م . ، فازدهرت فيها هذه الصناعة ازدهاراً عظيما إبان الحكم الروماني . وتدلنا كتب التراث العربي ان الزجاج كان شائعاً في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، فهذا عنترة بن شداد يقول في معلقته المشهورة :

ولقد شربت من المدامة بعدمـا
ركد الهواجـر بالمشوف المعـلم
بزجـاجة صفراء ذات أسـرّة
قرنت بأزهـر في الشّمال مقدم

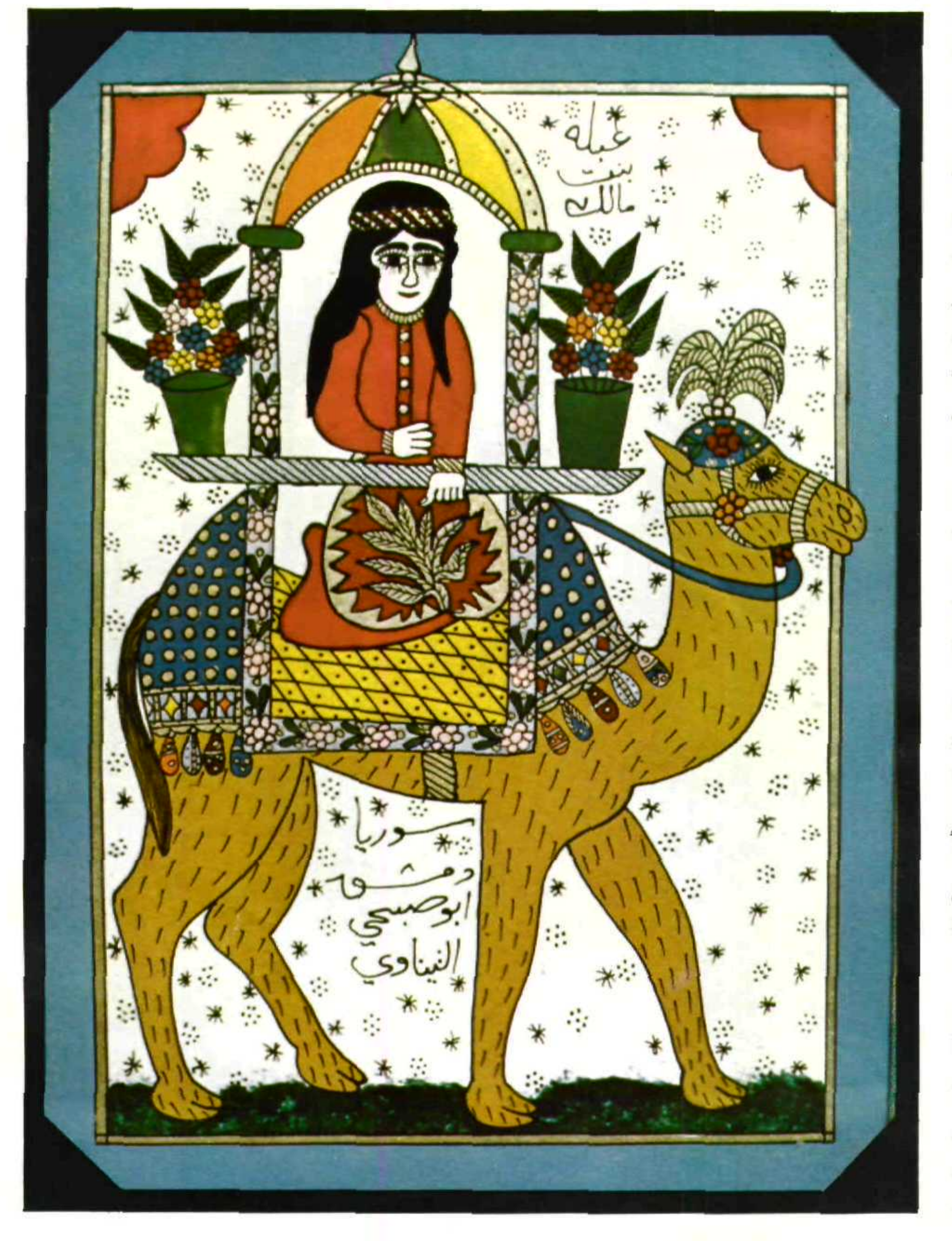
وقد استمرت اساليب هذه الصناعة سائدة في العصور الاسلامية الأولى ، واشتهرت دمشق ، وحلب ، وأنطاكية ، وصور ، وعكا ، والخليل ، بأنواع الزجاج الشامي ، الذي كان يضرب المثل برقته ونقائه وزخارفه . هذا وقد ورد ذكر الزجاج في القرآن الكريم في سورة النور ، اذ يقول سبحانه وتعالى : **« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم »** والزجاجة هنا هي القنديل المصنوع من الزجاج . وقد استمد العلماء معرفتهم بصناعة الزجاج في العصور الاسلامية الأولى مما عثر عليه في الحفريات التي أجريت في مصر وسوريا والعراق . واشتملت منتجات الزجاج في العصور الاسلامية الأولى على زجاجات وقوارير وزهريات وأكواب للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور . وبلغت أشكال هذه الأواني واحجامها من التنوع والكثرة ما لا يقع تحت حصر . وكانت تحلى الأواني الزجاجية في تلك الحقبة بزخارف مختومة ، تتكون عادة من جامات مستديرة تضم داخلها أقراصاً صغيرة ، أو رسوماً حيوانية ونباتية ، أو كتابات كوفية . كما شاعت في سوريا بوجه خاص زخرفة الأواني الزجاجية بالأقراص والخيوط المضافة الى سطح الاناء ، وقد عرف هذا الاسلوب في تلك البلاد زمن الحكم الروماني ،



وكانت الزخارف المضافة عبارة عن خطوط متعرجة او أشرطة متموجة، أو أقراص ونقط بلون الاناء الأصلي او باللون الأزرق في معظم الأحيان . واعتاد الفنانون أن يجعلوا هذه الخيوط باللون الأبيض اذا ما كان الاناء أزرق اللون او رمادي اللون . ومن الأساليب القديمة المعروفة نقش الزجاج وحفره إما باليد أو بواسطة عجلة خاصة بذلك .

وبلغت صناعة الزجاج في مصر درجة عالية من التقدم والرقي في العصر الفاطمي . ولعل أشهر المنتجات الفاطمية وأرفعها قيمة من الناحية الفنية هو الزجاج المذهب والمزين بزخارف تبدو كالبريق المعدني . وقد اشتهرت مدن مصرية عديدة بصناعة الزجاج في ذلك العصر ، وأشهرها الفسطاط والفيوم والاسكندرية . على أنه يبدو أن الفسطاط كانت أهم مراكز صناعة الزجاج زمن الفاطميين ، وأنها وصلت في عهدهم الى درجة كبيرة من الاتقان والتقدم ، فقد صنعت للبلاط الفاطمي قطع بديعة فاخرة امتازت بجمالها ورقتها . على أن أهم الأعمال الفنية الرائعة التي تمت على أيدي صناع الزجاج في مصر وسوريا في العصر الفاطمي هي زخرفة الزجاج برسوم البريق المعدني وألوان المينا . واستخدم الزجاجون المصريون والسوريون من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر الميلادي اطباقاً مختلفة من اللون الذهبي والنحاسي ، والألوان الأخرى العديدة التي استخدمت في أنواع الخزف المعاصر ذي البريق المعدني . هذا وبلغت صناعة الزجاج ذي الزخارف المقطوعة ذروتها على أيدي الصناع الفاطميين . وكان اسلوبها رفيعاً ، وزخارفها وثيقة الصلة بما هو متبع في انتاج تحف البلور الصخري التي أقبل عليها الخلفاء الفاطميون . ويذكر المقريزي في وصفه للمحنة الكبرى التي حلت بكنوز الخليفة المستنصر عام ١٠٦٢ م ، عدداً كبيراً من الأواني البلورية المزخرفة ، وقد خرج جزء كبير من تلك التحف الجميلة المختلفة الأحجام الى ملكية الكنائس والملوك في أوروبا ، وكانت تعد عندهم من النفائس الثمينة . وبلغت صناعة التحف الزجاجية أوج عزها أخيراً في الشام ومصر فيما بين القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، برعاية سلاطين العهد الأيوبي والمملوكي . وكان فخر هذه الصناعة تزيين التحف بالزخارف الذهبية المطلية بالمينا . واعتمدت الزخارف المذهبة أو المطلية بالمينا على ما كان هناك من أساليب معروفة في العصور السابقة ، وعلى الأخص في العصر الفاطمي . على أن فضل التقدم والاتقان لصناعة الزجاج المطلي بالمينا ، انما يرجع الى الصناع السوريين (١) . ولا جدال في أن حلب ودمشق كانتا من أهم مراكز صناعة الزجاج في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وعدت منتجاتها في طليعة أبدع ما خلفته تلك الصناعة على الاطلاق . ومع أن مصر ساهمت بنصيب وافر في انتاج الزجاج المطلي مثلما ساهمت العراق وايران ، الا أن انتاج سوريا كان أكثر وأعظم . وقد أشاد الرحالة الايراني «حافظ آبرو» بنفائس صناعة الزجاج بحلب ورسومه الأنيقة التي تنم عن ذوق رفيع . وكان للأواني الزجاجية المصنوعة بدمشق نفس الشهرة ولا سيما في العهد المملوكي ، اذ غمر صناع دمشق أسواق القاهرة بمفاخر انتاجهم، كما أطلق اسم دمشق على كل ما صدّر للبلاد الأوروبية من الأواني الزجاجية المذهبة المطلية بالمينا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . كما برزت مدينة الرقة في هذا المضمار ، وأبدع ما وصلت اليه صنع المشكاوات ، ومنها أمثلة رائعة كثيرة لا تزال تشاهد في المتاحف والمساجد ، وهي تحمل أسماء السلاطين والأمراء المماليك ، ومن الرقة انتشرت صناعتها في مصر وسوريا حيث راح الصناع يتأثرون

(١) الفنون الاسلامية للدكتور م . س . ديماند .




هارون الرشيد ووزيره
سوريا
دمشق
ابو صبحي
التيناوي

بالأساليب الصينية في صنعها وزخرفتها . أما ايران فقد سايرت صناعة الزجاج فيها التطور الذي جرى في الشام ومصر حتى كان عهد تيمور لنك الذي جمّع في « سمرقند » نخبة من أمهر الصناع السوريين الذين برز بهم اسم المدينة ، ثم تلتها في الشهرة كل من شيراز واصفهان في القرن السابع عشر والثامن عشر . وفي القرن الماضي وأوائل القرن الحالي خيم ركود عام على صناعة الزجاج في الشرق العربي ، ومع ذلك فقد ازداد الاهتمام مؤخرا بفن الرسم على الزجاج ، باعتباره أحد الفنون الشعبية التي تلاقي رواجاً وتشجيعاً . فالسائر في سوق الحميدية في دمشق تجتذب أنظاره لوحات زجاجية بديعة متقنة . وهذه اللوحات الفنية الرائعة مستوحاة موضوعاتها وعناصرها الزخرفية من حكايات ألف ليلة وليلة ، وعصر الخليفة العباسي هارون الرشيد حيث بلغت الامبراطورية الاسلامية أوج مجدها وعظمتها ، وكذلك من الملاحم البطولية والأساطير التي نسجها الرواة حول سيرة الفارس العربي عنترة بن شداد العبسي وابنة عمه عبلة ، وغيرها من قصص التراث العربي المبثوثة في بطون الكتب . والفنان لكي يبرز السمات الأساسية لموضوع اللوحة يعمد بفرشاته الى رسم خطوطها الرئيسية معكوسة على ظهر جامة من الزجاج ، بألوان زاهية مفعمة بالحيوية . وهذا الأسلوب في فن الرسم على الزجاج عرف في أوروبا منذ نحو ستة قرون وخاصة في مدينة البندقية في ايطاليا ، حيث أبدع الفنانون هناك لوحات زجاجية رائعة ذات شهرة عالمية واسعة ، ومنها انتشر هذا الفن في بافاريا والبلقان . ولم يلبث أن انتقل هذا الفن الى تركيا ، ومنها الى الشرق



العربي وخاصة سوريا . وموضوعات الرسم على الزجاج لا تخرج في محتواها الفني عن ثلاثة أنواع أساسية . الأول منها هو عبارة عن لوحات اطارية زخرفية بحتة ، الغرض منها تزيين قطع الأثاث والدواليب والتحف ومقصورات الزفاف والأعراس وغيرها . لذا كانت مادتها الأساسية الأشكال الهندسية المتنوعة ، والطيور ، وأكاليل الزهور ، والفراشات ، والزهريات وما شابه ذلك . ويغلب على هذه اللوحات الألوان الزاهية البهيجة . أما النوع الثاني فيختص بالخطوط العربية الجميلة ، لذا كان مجالها واسعاً والطلب عليها شديداً ، وخاصة للمساجد والبيوت والمحلات التجارية . وهذا النوع من اللوحات الزجاجية يتطلب براعة فائقة والماماً واسعاً بفنون الخط العربي وأساليب كتابته . أما الألوان المستعملة فيه فهي هادئة رزينة كالأحمر الداكن ، والأسود ، والمغرة الصفراء ، والفضي ، والذهبي . وينصب اهتمام الفنانين في هذا المجال على كتابة آي الذكر الحكيم ، والأدعية ، وما الى ذلك على اللوحات الزجاجية ، بحيث

تتخللها أشكال هندسية نباتية تضفي عليها الجمال والجاذبية . أما النوع الثالث من الرسم على الزجاج فهو الرسم الرمزي التعبيري الذي تغلب عليه البساطة ، وهو أكثر الأنواع الثلاثة شيوعاً ورواجاً ، سيما وأنه يتناول أبطال التاريخ الاسلامي ، والمعارك ، والأحداث التاريخية منها والاسطورية ، حيث يلعب فيها الخيال المجنح دوراً بارزاً . والملاحظ في هذه اللوحات الزجاجية الأخاذة أن سيرة عنترة والمعارك الضارية التي خاضها والأعمال البطولية التي قام بها في سبيل الفوز بقلب ابنة عمه عبلة قد استأثرت بالنصيب الأوفر من عناية الفنانين ، ولاقت قبولاً من لدن محبي ذلك التراث العريق فيقبلون على شرائها وتعليقها في مكان بارز في البيوت ، والمقاهي ، والصالونات . كما تناول فنانو الرسم على الزجاج الخليفة العباسي هارون الرشيد وبلاطه وابنه المأمون حيث يعتبر عصرهما من أزهى العصور في التاريخ الاسلامي . وامتد ذلك الفن الى جحا صاحب النوادر والفكاهات ، والى السلطان بيبرس الذي قضى على آخر الحملات الصليبية ودحر المغول ، والى كثيرين غيرهم من الذين تركوا بصماتهم واضحة في التراث الاسلامي . والزائر لمتحف قصر العظم في دمشق يقف على لوحات زجاجية بالغة الروعة تعبر خطوطها وزخارفها البديعة عن تراث عربي أصيل .

ومن بين الذين ذاع صيتهم وامتدت شهرتهم الى خارج حدود سوريا هو «ابو صبحي التيناوي» الذي أصبحت له مدرسة خاصة بفن الرسم على الزجاج . وقد قام «أبو صبحي» بتنظيم معرض حافل لهذا الفن في باريس . وقد سار أبناؤه وبناته بعد وفاته على الدرب ذاته ، فهم اليوم يخرجون لنا لوحات زجاجية رائعة يوقعونها باسم الأب الراحل تقديراً منهم للجهود التي بذلها في سبيل احياء التراث العربي الأصيل عبر فن شعبي أصيل •

سليمان نصر الله / هيئة التحرير
عن مجلة «أرامكو وورلد»



تباعد طرفي التشبيه في الأدب

بقلم : الأستاذ منذر شعار



يعرف المتأدبون وعشاق الشعر أن التشبيه هو عقد مماثلة بين شيئين لعلاقة بينهما . فلو قلت : وجه الحسناء كالقمر في البياض ، فقد أتيت بتشبيه ، وعقدت مماثلة بين وجه الحسناء وبين القمر للبياض الموجود في كل منهما . وللتشبيه أركان أربعة ، وهي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه . ولكن أكبر هذه الأركان هما المشبه والمشبه به . ويسميان « طرفين » . وقد يحذف الركنان الآخران وهما : « أداة التشبيه » و « وجه الشبه » أو أحدهما . ولكن لا يحذف أحد الطرفين . فان حذف خرج الأمر من التشبيه الى الاستعارة .

فطرفا التشبيه اذن هما « المشبه » و « المشبه به » . وقد شاعت عند عامة المتأدبين وأولي الولع بالبيان ألوان من التشبيهات ، أو بالأحرى .. تشبيهات معتادة . مثل « وجه فلانٍ مثل القمر » ، و « فلان كالبحر في السخاء » ، و « خد فلانة كالورد » ، و « قامة فلان كالنخلة » .

ولكن البلاغة وسحر البيان يتحققان حين يكون الطرفان متباعدين : أي حين يكون المشبه بعيداً عن جوّ المشبّه به لا يخطر على الذهن أن يستطيع شاعر وصل ما بينهما بتشبيه . ولقد كان الشعراء العرب مولعين بأن يأتوا بتشبيهات فريدة لم يسبقوا اليها . وكان الشاعر ذو الرّمة يقول : « اذا قلت كأن ولم آت بعدها بتشبيه رائع فقطع الله لساني » . وكان الشعراء يجعلون طريقهم الى الاتيان بتشبيه فذ أن يباعدوا بين طرفيه ، ولم يكونوا كلهم بالغين من ذلك ما يتمنون . ولكن الافذاذ منهم وأهل الفن ونفاذ الذهن ، هم الذين كانوا يأتون بتشبيهات طرفاها متباعدان فتعجب وتستحوذ على النفس بقوة .

من ذلك قول الشاعر جرير في مجال الافتخار ، حين مرّ معه تشبيه خاطف ولكن رائع :

انا لنذعر يا قفير عدوّنا
بالخيل لاحقة الأياطل قودا(١)

(١) قفيرة اسم امرأة ، وناداها الشاعر على الترخيم فحذف آخر حرف ، الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة ، القود جمع قوداء وهي الفرس الطويلة الظهر ، أو العالية .

وتحيط حـــوزتنا وتحمي سرحنا
جرد ترى لمغارها أخدودا(٢)
أجرى قلائدها وخدّد لحمهـــا
ألا يذقن مع الشكائم عودا(٣)
وطوى الطّراد مع القيـــاد بطونها
طيّ التجـــار بحضرموت برودا

فجرير ، هنا ، يفتخر بقوة قبيلته ، وأنهم يحمون مالهم وحدودهم ويصدون عنهم كل عدوان . وذلك أن لهم خيلاً مضمّرة معدة للحرب ، ثم أخذ يصف هذه الخيل على سبيل الاستطراد ، وما وصفها الا بالهزال ، لأن المضمّرة أسرع وأشد في الحرب مرونة ، فقال ان خيلهم لاحقة الأياطل قود ، أي : خاصرتا كل فرس متلاصقتان من الهزال ، والفرس طويلة الظهر ، وهي اذا أغارت خددت الأرض من شدة مغارها أي اغارتها .. ثم ذكر سبب هزالها فقال انه : جوعها ، لأنه لا فرصة لها لتأكل أعواد العشب فلا تذوق الا شكائم اللجم ، ثم ان مداومة الطراد واستمرار قياد الأبطال لها أهزل بطونها فطويت حتى شابهت برودا « أثوابا » من الحرير يطويها التجار في أسواق حضرموت .

الشاهد اذن في آخر بيت حيث عقد الشاعر جرير ، وهو من أمراء الشعر الأموي ، مماثلة بين بطون خيله وبين أثواب حضرمية مشهورة . فطرفا التشبيه هنا جدّ متباعدين ، فالمشبّه بطون الخيل ، والمشبّه به برود التجار بحضرموت ، وكنا في قلب المعركة حيث الغبار والطراد والقياد والعنف والهول ، فاذا نحن ، فجأة ، في أسواق حضرموت حيث الأسواق والهدوء والسلم والبيع والشراء . وتكون عدسة انتباهنـــا الفنية النفسية على بطن الخيل في الحرب وهي هزيلة فاذا نحن ، دون سابق انذار ، نوجّه عدساتنا نحو برود منْ الحرير تطوى في حضرموت . هذا الانتقال المفاجيء الممتع ، وهاتان الصورتان المتباينتان . وهذان الجوّان المتغايران انما أحدثها جميعاً في الذهن والبيان ، هذان الطرفان المتباعدان في التشبيه ، ولكن بطون الخيل الهزيلة تشبه برود التجار الحضرمية فعلاً ، فالمماثلة صحيحة ، وناجحة ، وقد كانت كل الروعة البلاغية في انقذاف الشاعر من قلب الحرب الى دكاكين التجارة ، فلم يكن أحد يظن أنه سيأتي بالمشبّه به من مكان بعيد وهو يوغل في وصف سرعة الخيل وشدة اغارتها في الحروب ، مع أننا لا نلاحظ على سرد الأبيـــات انقطاعاً ، ولا نحسّ في سيلانها وهيا ولم نشعر بالفراغ بين الصورتين على بعد ما بينهما لأن التشبيه حق والمماثلة صحيحة ، وبطون الخيل ، فعلاً ، تشبه أثواب الحرير بحضرموت ، وحين يحسّ القارىء والسامع بهذا البعد مع وجوده في العقل والمسافة تحققت له كل البلاغة ، وهذا اذن مثال واضح على تباعد طرفي التشبيه في الأدب .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك بيتان لابن الرومي في وصف زهرة ، وابن الرومي — ذلك الشاعر العباسي — ذو فن عريض وتصوير بارع ، وهو الوصّاف الذي لا يجارى ، وكأني به يرسم لوحات في أشعار ولا يقول كلمات . وقد مرّ يوماً ببستان فرأى زهرة مستديرة حمراء اللون ولكن أسفلها أزرق في دائرة صغيرة حول ممسّ العود ، واذن هي تبدأ زرقاء من الأسفل قليلاً ثم تتوهج حمرة بعد ذلك . فأراد وصفها فماذا يقول وبماذا يا ترى يشبهها . واذا قال : كأنها .. فبم يكمل ومن أين يأتي بالمشبّه به ؟؟ كل السامعين يتّظرون أن يكون المشبّه به من البستان نفسها ، أو من مكان منها قريب في المادة والمعنى ... من القصر أو من شمس العصر ، من البحر والسماء ومما شاء من صور الطبيعة .. ولكن ابن الرومي — ويا للمفاجأة — جاء بالمشبه به من المطبخ ... وذلك حيث يقول :

ولازورديّة تزهـــو بحمرتهـــا
وسط الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق أغصان ضعفن بهـــا
أوائل النار في أطراف كبريت

نعم ، اذا أمررنا عود الثقاب على محكّه من العلبة .. لاحظنا زرقة خاطفة تظهر قبل انتشار الحمرة المتوهجة ،

(٢) السرح : المال الراعي . (٣) الشكائم : جمع شكيمة وهي حديدة اللجام التي في فم الفرس .

فهذه هي تلك الزهرة اللازوردية ، التي أجاد ابن الرومي وصفها في تشبيهه هذا ذي الطرفين المتباعدين حيث لا يخطر على بال أحد أن يكون المشبّه من وسط الرياض والمشبه به من جوّ جدّ بعيد عنه ومنه ، والصورة مع ذلك صحيحة والتصوير بارع ورائع ، وما أحلاهما من طرفي تشبيه ، هذا ساكن وهذا خاطف ، وهذا نور وهذا نار ، وهذا من جو وهذا من جو . لقد جعل ابن الرومي زهرة من زهرته تلك في كل وقت وزرعها لنا في كل ومضة كبريت ، فعلق في أعوادنا لازروداً على مدى الزمان .. انها البلاغة ، وانه الفن ، وانه تباعد طرفي التشبيه في الأدب .

وقد شبه الشاعر « منظور بن مرثد » تشبيهاً فذا في رجز قديم له ، في الذي رواه « ابن جني » في كتابه « سر صناعة الاعراب » .. تشبيهاً متباعد الطرفين ، وذلك حين توصل الى وصف ناقته فقال :

كأن مهواها على الكلكل
وموقعا من ثفنات زل(١)
موقع كفّي راهب يصلي
في غبش الصبح وفي التجلي

فهو هنا يصف بروك ناقته ، فيقول : انها حين استنيخها فتنيخ ألاحظ ثفناتها « أي ركبها » خشنة مخددة ، من كثرة الاناخة والمسير (كناية عن أسفاره وترحاله) ثم ذهب يصف ركبها الخشنة هذه فقال انها تشبه بخشونتها وتخديدها كفّي راهب متبتل كثير الصلاة والسجود لربه في أخريات الليل حتى يطلع الصبح .

فالبلاغة هنا جاءت من أن ثفنات الناقة ماثلت كفي الراهب في حيث لا يظن ظان أن تقوم بينهما مماثلة ولكنها قامت ، أبلغ ما تكون ، وأحسن ما تكون ، فطول بروك الناقة شابهه طول وقوع الراهب المتبتل ساجداً . فالطرفان متباعدان ، فبينما نكون أمام الناقة في الصحراء اذا بنا في قلب الصومعة ، وبينا نحن في رائحة الصحراء والفضاء اذا نحن في انقباض الخلوة . صورة بعيدة الطرفين ، جداً ، فما من جو النوق والسفر جوّ الوحده والعبادة والرهبانية ، ولكن الشاعر البليغ عقد بينهما مماثلة وجمع بينهما في نسق تشبيه فذ فأبان وأمتع وسيّر قوافيه شخوصاً متحركة .

وقد يقول بعض الناس : ان تشبيه الجواد بالبحر ، أو الحسناء بالقمر تشبيه بعيد الطرفين ، فأين البحر من الرجل والجواد ، وأين القمر من الحسناء ؟؟ واالجواب أن هذا قد عرف كثيراً وتردد وسمعه قاص ودان حتى اقترب من الابتذال ، وما نسوقه فذ وغريب وفيه بعد حقيقي ، بعد لا يخطر ببال السامع أن يجتمع في تشبيه جانبان .

ولقد أعجب الناس بقول أبي العلاء المعري يصف ليلته التي أرق فيها فلم يستطع النوم :

هرب النوم عن جفوني فيها
هرب الأمن عن فؤاد الجبان

فنقل الجو من الليل والسهر الى الحرب والخوف ، وشبّه هروب النوم من عينيه بهروب الأمن من الجبان في الحرب . فباعد بين الطرفين وخالف بين الجوين ، ولذلك أضحى لبيته عند النقاد قيمة خاصة .

وهل الا من الجمال والامتاع بيتا ذلك الشاعر في العصور المتأخرة يصف ناراً من الفحم ، الجمر في الأسفل وفحمات سود من فوقه تنتظر أن تتجمّر ، فوصف ذلك فقال :

كأنما النار في تلهّبها
والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أصابعها
من فوق نارنجة لتخفيها

والنارنجة هي البرتقالة ، فانظر الصورة البديعة ، وكيف أبعد الشاعر في طلب المشبه به ، فجعله زنجية شبكت أصابعها من فوق برتقالة ، هذا هو منظر الجمر تحت الفحم . وان التشبيهات المتباعدة أطرافها لكثيرة عند العرب ، ولكننا اجتزأنا بما أوردنا ، وفي بطون الكتب ودواوين الشعر مزيد لمستزيد كل وقت وحين •

منذر شعار – الكويت

(١) الثفنات : جمع ثفنة : وهي من البعير الركبة ، والزل جمع زلاء : السريعة أو خفيفة الوركين ، والكلكل الصدر ، وشدد آخره للرجز .

حمى الروماتزم

بقلم : الدكتور ابراهيم ناصر

التهاب مفاصل الاصابع م

تعتبر حمى الروماتزم من مضاعفات الاصابة ببكتيريا السبحية الحالّة للدم من فئة «ب» B-hemolytic Striptococci . ويكثر انتشار هذا المرض بصورة عامة في البلدان النامية بين الأطفال والشباب ، وخاصة أولئك الذين يعيشون تحت ظروف معيشية صعبة حيث تنتقل جرثومة هذا المرض من شخص الى آخر . ومما يساعد على انتشار هذه الجرثومة ، تدني مستوى النظافة في البلدان المتخلفة وازدحام المسكن حيث يعيش عدد كبير من الأطفال تحت سقف واحد . وكذلك تكثر الاصابة بهذه الجرثومة لدى الشبان في المدارس الداخلية وعنابر الجنود . وتقل نسبة الاصابة بحمى الروماتزم مع تحسن الأحوال المعيشية والصحية للمجتمعات ، وخاصة بعد اكتشاف البنسلين وغيره من المضادات الحيوية الفعالة في القضاء على جرثومة ال B-hemolytic Strip. .

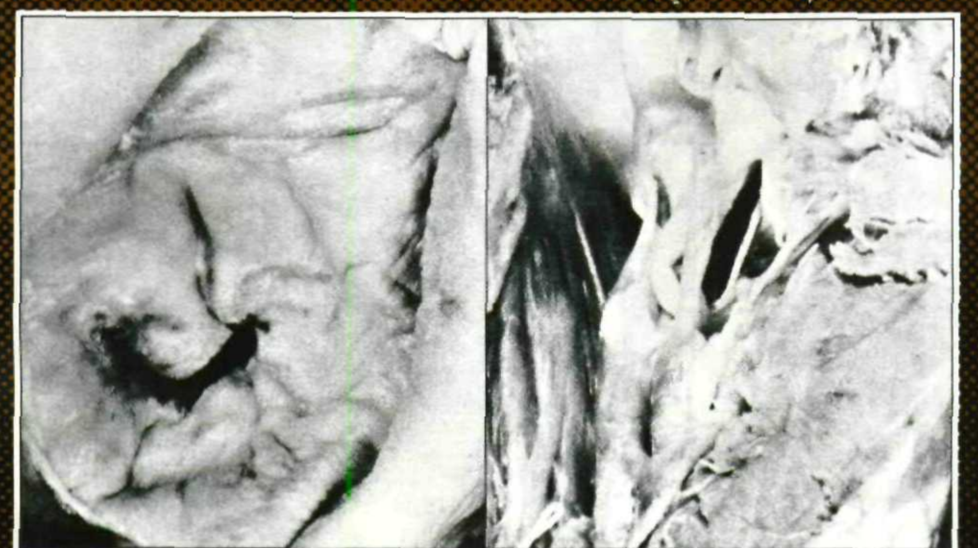
تبدأ الاصابة بجرثومة ال B-hemolytic Strip. على شكل التهاب حاد في الحلق أو اللوزتين يصحبه ارتفاع في درجة الحرارة وآلام في العضلات والمفاصل وألم عند البلع . وأحياناً تتم الاصابة بهذه الجرثومة على شكل التهاب وتقرّح في الجلد ، وفي العادة ، تأخذ الاصابة مجراها لبضعة أيام تختفي على أثرها أعراض المرض . وبعد اسبوعين من الاصابة بالتهاب اللوزتين أو الحلق ، وفي نسبة قليلة من المرضى ، تظهر أعراض حمى الروماتزم . وهنا لا بد من الاشارة الى القول بأن ليس كل التهاب في الحلق أو اللوزتين هو بالضرورة ناتج عن الاصابة بجرثومة ال B-hemolytic Strip. ، بل هنالك العديد من أنواع البكتيريا والفيروسات التي تسبب هذا الالتهاب وما يرافقه من الأعراض الآنفة الذكر . وبدون اللجوء الى زرع عينة من الحلق واجراء الفحوصات المخبرية ، لا يمكن التمييز بين الاصابة بهذه الجراثيم . ومما يزيد الأمر تعقيداً أن نسبة لا يستهان بها من الأطفال والشباب والشيوخ تحمل الجرثومة المسببة لالتهاب الحلق واللوزتين دون أن تتسبب هذه الجرثومة في أي من الأعراض السالفة الذكر . ومن الممكن أيضاً أن تتسبب هذه الجرثومة بحمى الروماتزم دون سابق التهاب في الحلق أو اللوزتين . واذا ما ثبت أن التهاب الحلق واللوزتين ناجم عن الاصابة بجرثومة أل B-hemolytic Strip وتمّ اعطاء العلاج اللازم وهو البنسلين وللمدة الكافية ، فان هذا العلاج كفيل بمنع حدوث مضاعفات حمى الروماتزم . أما اذا ما أهمل علاج التهاب الحلق أو اللوزتين على الوجه الأكمل فان نسبة الاصابة بمرض حمى الروماتزم تتراوح ما بين ٠,٤٪ و ٣٪ . من هنا تأتي أهمية تشخيص الاصابة بهذه الجرثومة ومن ثم علاجها علاجاً صحيحاً وذلك للحيلولة دون الاصابة بحمى الروماتزم .

ذكرنا أن حمى الروماتزم تظهر لدى نسبة ضئيلة من المصابين بالتهاب بكتيريا ال B-hemolytic Strip . أما لماذا تصيب حمى الروماتزم هؤلاء دون غيرهم فالسبب ليس واضحاً تماماً . الا أن هنالك بعض الدلائل التي تثير الاهتمام . فنسبة الاصابة لدى أفراد العائلة الواحدة تكون مرتفعة وقد يكون مرد ذلك الى الظروف الحياتية التي تجمعهم وليس الى أسباب وراثية محضة . كما يلاحظ أن حمى الروماتزم تظهر لدى الأطفال ما بين سن الرابعة والسابعة عشرة ، وتقل كثيراً بعد هذه السن . وقد يكون لسوء التغذية وتدني المستوى الصحي والاجتماعي والازدحام السكاني أثر كبير في ازدياد نسبة الاصابة بحمى الروماتزم . واذا ما أصيب المريض بحمى الروماتزم للمرة الأولى فان احتمال تكرار اصابته بها قد يقوى بعد كل التهاب يصيب الحلق واللوزتين بجرثومة B-hemolytic Strip .

أعراض حمى الروماتزم



صمام القلب التاجي وقد أصابه التلف والتضيق بسبب التهاب حمى الروماتزم .



نُشوء وتَطوّر المـرَض

مضت حقبة طويلة من الزمن قبل أن تكتشف العلاقة بين بكتيريا ال B-hemolytic Strip وحمى الروماتزم . أمـا وقد ثبت الآن أن هذه الجرثومة هي المسبب لهذا المرض ، فقد انصبت الأبحاث على كيفية نشوئه وتطوره .

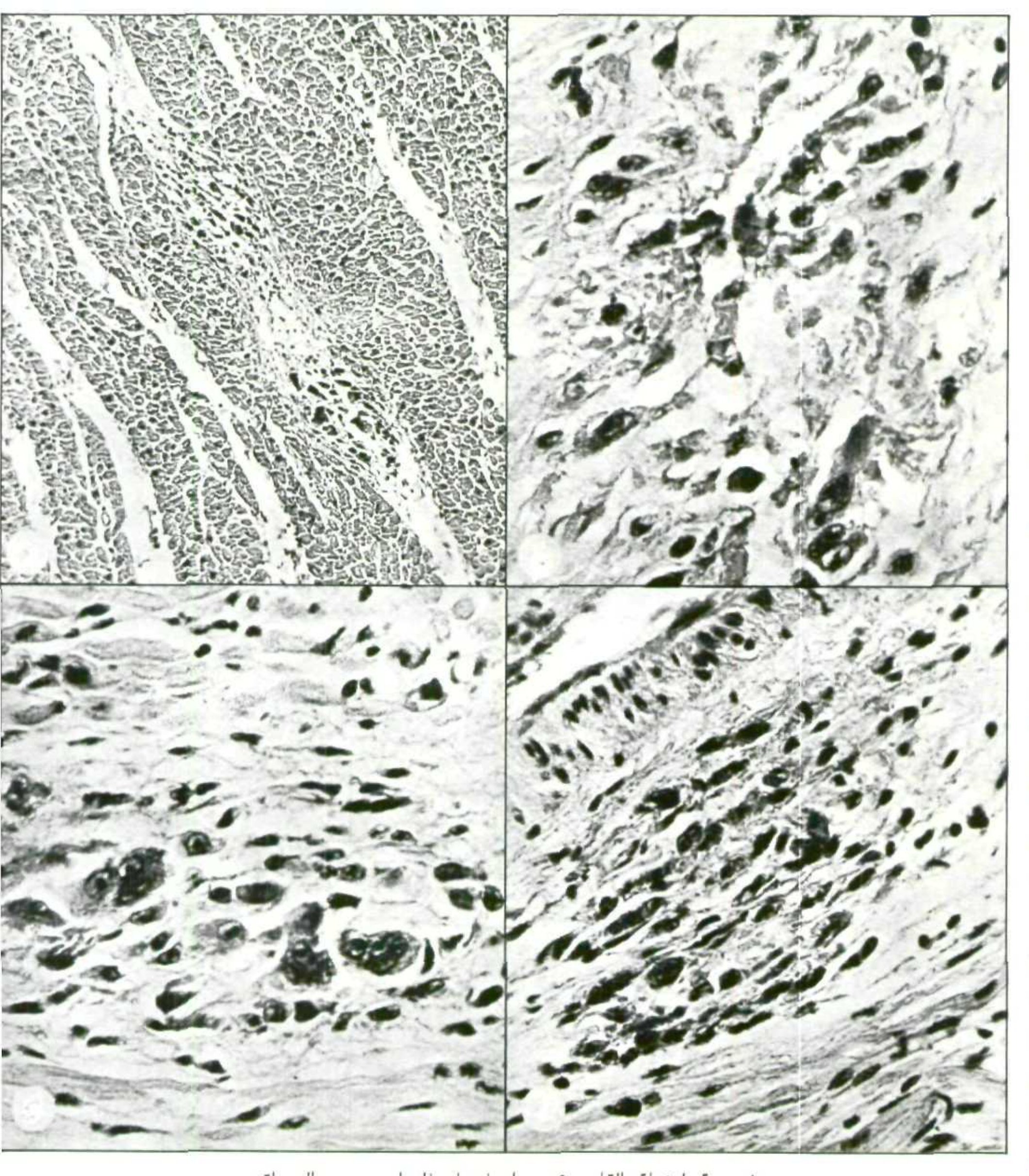
وهنالك نظريات طبية عديدة ظهرت في هذا المجال ، منها ما يثبت خطوه ومنها ما زال قيد الدراسة والتمحيص . ولعل أولى هذه النظريات هي تسرب البكتيريا نفسها الى الدم ومن ثم الى بقية أعضاء الجسم مسببة بذلك التهاباً في القلب والمفاصل وغيرها من مظاهر حمى الروماتزم . وقد ثبت عدم صحة هذه النظرية اذ ليس هناك ما يدل على أن البكتيريا نفسها تغزو أنسجة الجسم المختلفة . ومن هذه النظريات أن البكتيريا تفرز « سماً --Toxin» يسري في الدم مسبباً تلفاً في أنسجة الجسم المختلفة ، ولعل أدق هـذه النظريات وأقربها للصحة هي أن حمى الروماتزم حصيلة خلل في نظام المناعة لدى الجسم المصاب— Anti-immune Reaction . ولقد أودع الخالق ، جلت قدرته ، جسم الكائن الحي وسائل دفاعية يقاوم بها أي عدوان خارجي ، ولعل من أهم هذه الوسائل أنه حين يتعرض الانسان الى جسم غريب — Antigen تنشط الأجهزة الخاصة بالمناعة لتولّد « أجساماً مضادة — Antibodies » لمقاومة هذا الجسم الغريب والقضاء عليه . وحتى يعمل هذا النظام الدقيق على الوجه الصحيح لا بد من القدرة على التمييز بين الأجسام الغريبة وبعض أجزاء الجسم نفسه حتى لا تظهر أجسام مضادة لبعض مركبات الجسم نفسه ، وهذه هي الحال بالنسبة للجسم السليم . أما في حال حمى الروماتزم ، وبفعل جرثومة ال B-hemolytic Strip فانه يحدث خلل في هذا النظام اذ يقوم جسم المريض بتكوين أجسام مضادة لبعض مكونات الجسم نفسه وبالتالي يحدث تفاعل بين هذه الأجسام المضادة والأجسام « الغريبة » ، وينتج عن هذا التفاعل ذلك الالتهاب الذي يمثل أهم مظاهر حمى الروماتزم . فاذا حدث التفاعل المذكور في عضلة القلب نتج عنه التهاب في القلب ، واذا ما حدث في أغشية المفاصل نتج عنه التهاب في المفاصل .. وهكذا .

أعـراض حمّى الرومـاتزم

• **التهـاب المفاصل** — Arthritis : وهو من أبرز أعراض حمى الروماتزم ، وعلى هذا الأساس تمت تسمية المرض بهذا الاسم من قبيل تسمية الشيء بأبرز ما فيه . ويبدأ هذا النوع من الالتهابات بألم حاد في المفصل يتبعه احمرار وتورم ، وغالباً ما يبدأ الالتهاب في الرثتين ورسغي القدمين ، يليه التهاب مفاصل الكوعين ورسغي اليدين وقلما تتأثر مفاصل الأصابع أو الكتفين أو العمود الفقري بهذا الالتهاب .

ومن خصائص التهاب المفاصل هذا أنه متنقل ، اذ يبدأ في الركبتين مثلاً ليتنقل بعد فترة وجيزة الى القدمين أو الرسغين ومن ثم الى الكوعين وهكذا . ومن خصائصه المميزة كذلك أنه لا يترك أثراً دائماً في المفاصل أو يتلفها بل يزول كل أثر له بعد انتهاء النوبة الحادة والى أن يعاود المريض في نوبة حادة أخرى . والتهاب المفاصل هذا يقعد المصاب به ، اذ أن أية حركة يقوم بها المريض قد تزيد من حدة آلامه مما يضطره الى ملازمة الفراش حيث لا يقوى على الحراك .

• **التهاب القلب** — Carditis : وهو من أبرز مظاهر حمى الروماتزم وأخطرها . والتهاب القلب هذا شامل يصيب « عضلة القلب — Myo-carditis" وشغاف القلب — Endocarditis ، وينتج عن التهاب



شريحة لعضلة القلب تبين اصابتها بالتهاب حمى الروماتزم .

القلب مضاعفات عديدة أهمها تضخم القلب ، ومن ثم « هبوط القلب – Congestive Heart Failure » .

وتعتبر صمامات القلب جزءاً لا يتجزأ من شغاف القلب ، وهي تتولى تنظيم مجرى الدم في القلب من تجويف الى آخر . وبالتهاب شغاف القلب قد يلحق بصمامات القلب تلف مما ينتج عنه تضيق أو توسع في هذه الصمامات وبالتالي حدوث خلل في عملها مما يسبب تضخم القلب وهبوطه . ويعتبر « الصمام التاجي – Mitral Valve » أكثر صمامات القلب تعرضاً للتلف لدى الاصابة بحمى الروماتزم يليه «الصمام الأبهر – Aortic Valve » . وغالباً ما تشمل الاصابة كلا الصمامين بالاضافة الى صمامات التجويف الأيمن . هذا وينتج عن تلف صمامات القلب ظهور ما يسمى بـ« لغط أو انقباض القلب – Heart Murmur » ، ولكل لغط خصائص ثابتة يستطيع بواسطتها الطبيب التيقن من مصدر هذا اللغط وتحديد الصمام المصاب .

وتظهر أعراض هبوط القلب عند المريض على شكل احتقان في الرئتين ينتج عنه ضيق في التنفس وسعال ، ويظهر كذلك احتقان في الكبد وتورم في الأرجل ، كل ذلك بسبب هبوط القلب وعدم تمكنه من أداء وظيفته بضخ ما يصله من الدم الى مختلف أعضاء الجسم .

صورة توضح تلف الأبهر وتوسعه بسبب اصابته بحمى الروماتزم .

ظاهرة مرض سدنهام

Sydenham's Chorea *

وهي أحد معالم حمى الروماتزم ولها أهمية خاصة في تشخيص المرض ، وتظهر عادة نتيجة خلل في عمل الدماغ . وتشاهد هذه الظاهرة لدى الأناث أكثر مما تشاهد لدى الذكور . وهي تتميز بظهور حركات عفوية غير ارادية ومتكررة للأطراف والرقبة ، وقد تشمل جميع عضلات الجسم الارادية بما في ذلك عضلات الوجه واللسان . وتختفي هذه الحركات أثناء النوم ولكنها تستمر طوال فترة اليقظة بحيث يفيق المريض من أداء أعماله اليومية الاعتيادية ، فتسبب له الارهاق الشديد لما يبذل من جهد في هذه الحركات غير الارادية . وتظهر أعراض هذه الظاهرة بصورة تدريجية خفية . ومن الملاحظ أن الطفل المصاب بهذا المرض يفقد القدرة على السيطرة على حركات يديه ، وتظهر هذه جلية أثناء الكتابة ، فيشكو المدرس من سوء خط الطالب ، وتقع من يده أشياؤه ويجد صعوبة في ربط حذائه أو فك أزرار قميصه ، وتدريجياً تظهر عليه الحركات العفوية فتثير سخرية زملائه . وقد تصل هذه الحركات من الشدة بحيث تستلزم إبقاء الطفل في فراشه للمحافظة عليه من ايذاء نفسه . وتستمر هذه العفوية في العادة ما بين ٦ و ٨ أسابيع يعود بعدها المصاب الى حالته الطبيعية وكأن شيئاً لم يكن . ولكن هذه الظاهرة قد تعاوده مع تكرار نوبات الحمى الروماتزمية .

• **الطفح الوردي** : يصاحب نوبة حمى الروماتزم عادة طفح وردي له خصائص معينة – Erythema Marginutum ، ويشاهد لدى حوالي ٥ ٪ من المرضى فقط . وهذا الطفح يساعد على تشخيص أعراض المرض . كما تظهر أحياناً أورام تحت الجلد – Subcutaneous Noduls وخاصة حول المفاصل أو فوق العظام البارزة . ولهذه الأورام أهمية خاصة في تشخيص المرض ولكنها تشاهد لدى ٥ ٪ من المرضى فقط .

ومن بين أعراض مرض حمى الروماتزم أيضاً ، ارتفاع في درجة الحرارة ، وقد يستمر هذا الارتفاع بضعة أسابيع قبل ظهور بقية الأعراض وخاصة عند الأطفال ، كما يصاحبه رعاف وأحياناً ألم حاد في البطن .

واذا مااستثنينا «التهاب القلب – Carditis » من بين أعراض حمى الروماتزم ، فان سائر الاعراض تستمر لوقت محدد تختفي بعده دون أن تترك أي أثر يُذكر . فالطفح الوردي على سبيل المثال ، يستمر لبضعة أيام فقط ، والأورام تحت الجلدية تزول بعد أسبوع أو اسبوعين من ظهورها ، والتهاب المفاصل يدوم اسبوعين أو ثلاثة أسابيع فقط ، وال «كوريا – Chorea » تأخذ مجراها مدة تتراوح بين اسبوعين وستة أشهر على أقصى حد . أما بالنسبة لالتهاب القلب فتعتمد نتيجته على حدة هذا الالتهاب ، فاما أن يخف التلف الذي يحدثه هذا الالتهاب مع مرور الزمن وباستعمال العلاج ، وأما أن يزداد فيسبب تلفاً في صمامات القلب .

وبخصوص عودة نوبة حمى الروماتزم وأثرها على القلب ، فان هذا الأمر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى التلف الذي أصاب القلب في النوبة الأولى ، فاذا خلت نوبة الروماتزم من التهاب القلب فان احتمال عودتها واصابتها للقلب في المرات اللاحقة ضئيل جداً . أما اذا كانت اصابة القلب حادة في النوبة الأولى فان احتمال عودة هذه النوبات واصابتها للقلب في المرات اللاحقة محدثة تلفاً جسيماً في صمامات القلب أمر وارد . ومن هنا تأتي الأهمية القصوى للتأكد من وجود التهاب القلب أو عدمه عند الاصابة بمرض حمى الروماتزم حتى يمكن العناية بهؤلاء المرضى ومنع تكرار حدوث هذه النوبات وبالتالي منع حدوث تلف في صمامات القلب .

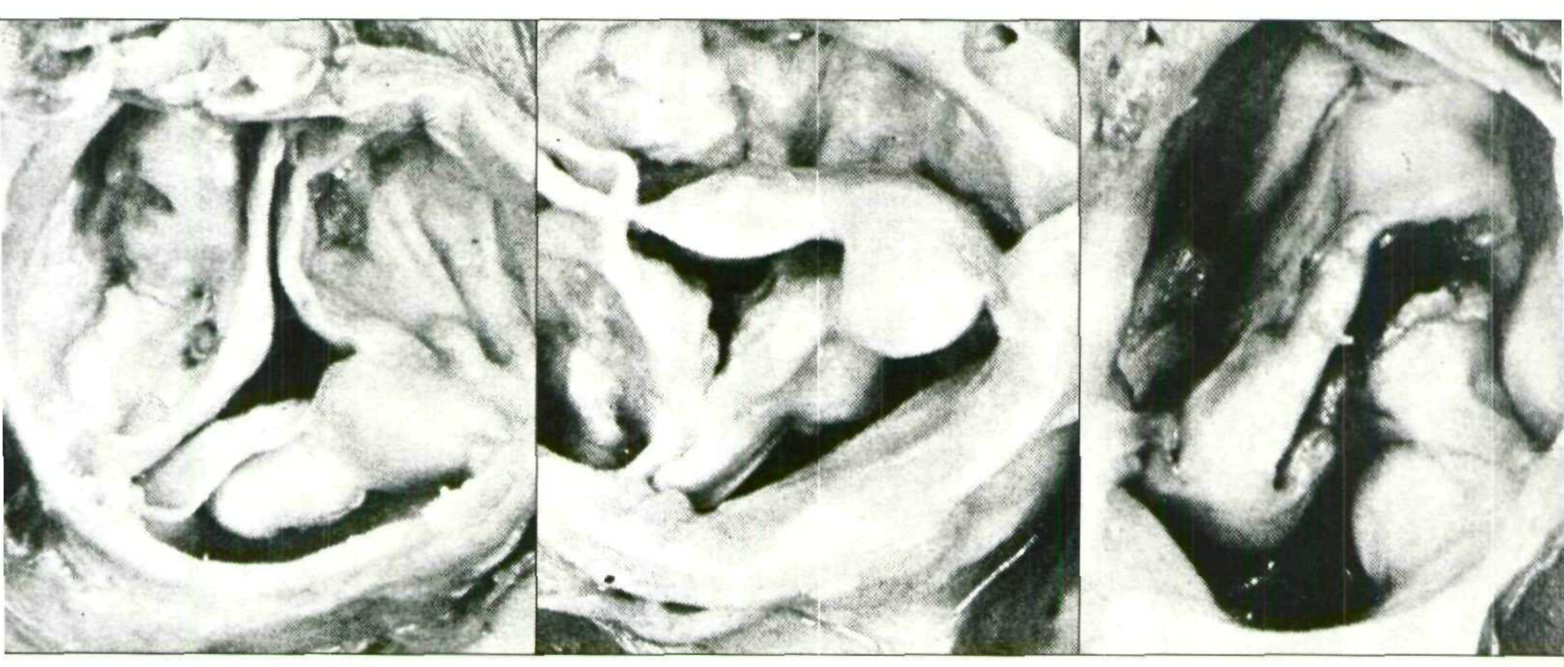
التَشخيص

لتبسيط الموضوع وتقريبه الى ذهن القارىء ، نأخذ حالة طفل افتراضية في العاشرة من عمره . لنفرض أن هذا الطفل قد أصيب بالتهاب اللوزتين ولم يتناول العلاج اللازم لهذا الالتهاب ، وبعد اسبوعين من اصابته هذه بدأ يشكو من ألم في الركبتين مع تورم واحمرار المفاصل ثم ما فتىء أن انتقل الألم الى المرفقين فالرسغين مما أقعده عن دراسته . وما أن كاد ينتهي من التهاب المفاصل حتى ظهرت عليه علائم التهاب القلب وسمع على أثرها ، لأول مرة ، أضرت به أشد الضرر ومنع على أثرها من ممارسة هواية رياضية ، أو طلب منه المواظبة على علاج دائم دونما دليل كاف .

ولتجنب الوقوع في الخطأ فقد وضعت « مقاييس Jones Criterea » لا بد من توفرها لدى تشخيص المرض ، وتنقسم هذه المقاييس الى قسمين :

- **المقاييس الرئيسية** : وتشمل التهاب القلب ، التهاب المفاصل ، الحركات الرمضية Chorea — الطفح الجلدي ، والأورام تحت الجلدية .
- **مقاييس فرعية** : وتشمل الاصابة بحمى الروماتزم في السابق ، أو وجود دليل على تلف أحد صمامات القلب ، ألم المفاصل ، ارتفاع في درجة الحرارة ، زيادة سرعة ترسب بل لمتابعة تطور المرض اذ تقل سرعة الترسب هذه تدريجياً مع زوال آثار المرض . وهذا الفحص ذو فائدة كذلك في عملية تقييم استجابة المريض للعلاج وتحديد كمية العلاج المستعمل ومدى قوته وان كان هذا الفحص المخبري ذا أهمية كبيرة في تشخيص مرض الروماتزم ومتابعة تطوراته . الا أن له محاذير كثيرة تجب مراعاتها عند تفسير نتيجة الكشف ، فهو أولاً ليس دقيقاً بالدرجة المتوخاة وليس خاصاً بمرض الروماتزم بل ترتفع سرعة ترسب كريات الدم الحمر عند اصابة أي عضو في الجسم بالالتهاب .

تترك بكتيريا السبحيّة الحالّة للدم من فئة « ب » بصماتها في دم المصاب حتى



ثلاث صور التقطت لصمام القلب الأبهر ، وهي تبين درجات مختلفة من تلف هذا الصمام وتضيقه نتيجة لاصابته بحمى الروماتزم .

لغط يدل على توسع الصمام التاجي تبعه ظهور علائم هبوط القلب . ان هذه الصورة لهذا الطفل الضحية لا تدع مجالاً للشك في أن ما أصابه هي حمى الروماتزم ، ولكن هذه الحال ليست دائماً بهذه السهولة التي قد يتصورها البعض ، فكثيراً ما تكون الصورة غير متكاملة مما يستوجب على الطبيب البحث عن جميع مظاهر المرض وخفاياه والاستفادة بما لديه من وسائل مخبرية للوصول الى التشخيص الصحيح لما لذلك من أهمية قصوى ، وكم من طفل أو شاب تم تشخيصه بشكل عابر ، وبقي يحمل اسم هذا المرض سنوات طويلة كريات الدم الحمر (ESR) ، وتغيرات خاصة لدى تخطيط القلب الكهربائي . ويتأكد تشخيص المرض بوجود ثلاثة من المقاييس الرئيسية مجتمعة وخاصة الثلاثة الأولى منها . غير أن وجود اثنين منها أو واحد بالاضافة الى اثنين من المقاييس الفرعية ، يجعل من التشخيص شبه مؤكد .

ويلجأ الأطباء أثناء عملية التشخيص الى الاستعانة ببعض الفحوصات المخبرية ، اذ يصاحب نوبة الروماتزم الحادة ازدياد سرعة ترسب كريات الدم الحمر . ويستعمل هذا الفحص ليس كأداة للتشخيص فحسب ولو لم يتم الكشف عنها بزرع عينة من الحلق . ومن الفحوص المخبرية المستعملة للكشف عن هذه البصمات ال ASO Titer . فزيادة نسبة هذه المادة في دم شخص ما تدل على سابق تعرضه لجرثومة المرض المذكورة كما تساعد أيضاً في عملية التشخيص .

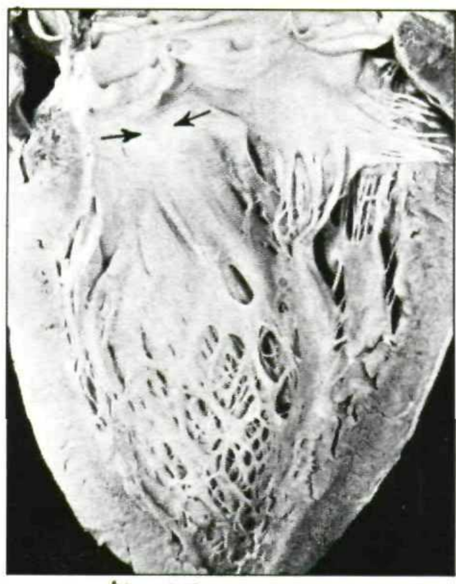
هنالك أمراض عديدة ينبغي تمييزها والتفريق بينها وبين حمى الروماتزم ليكون التشخيص دقيقاً ومبنياً على أسس سليمة . فالأمراض التي تسبب التهاب المفاصل لا حصر لها ، وليس كل التهاب للمفاصل يعدّ حمى روماتزمية . وكذلك الأمراض التي

تسبب التهاب القلب عديدة ولا بد من التمييز بينها ، وأول هذه الأمراض التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار لتمييزهـــا عن حمى الروماتـــزم ، مرض الروماتـــزم المعروف بـ « R. Arthritis » ، فكما هي الحـــال بالنسبة لحمى الروماتزم ، فان هذا المرض يسبب التهاب المفاصل على شكل شبيه بحمى الروماتزم ويسبب أحياناً التهاب القلب ، ويتلف صماماته ويسبب ارتفاعاً في درجة الحرارة وخاصة لدى الأطفال والشباب . ولكن من أهم أوجه الخلاف المميزة لهذا المرض هو ما يسببه من تلف دائم في المفاصل التي يصيبها على عكس حمى الروماتزم . ومن هذه الأمراض التي لا بد من تفريقها عن حمى الروماتزم ، « التهاب شغاف القلب البكتيري المعتـــدل الحدة — Subacute Bacterial Endo carditis » . أما أوجه الشبه بين المرضين فعديدة ، ولكن زرع الدم في حالة التهاب شغاف القلب البكتيري يعطي النتيجة الايجابية للتشخيص . ومن هذه الأمراض كذلك « مرض فقر الدم المنجلي — Sickle Cell Disease » الذي يسبب آلاماً في المفاصل ، بالاضافة الى فقر الدم المزمن الناجم عن تضخم القلب حيث يظهر أحياناً لغط في القلب مما يزيد في صعوبة التمييز بين المرضين . ولكن كشف الدم لمعرفة نوع الهيموغلوبين كفيل بحل مشكلة تشخيص هذا المرض . وبطبيعة الحال فقد يوجد المرضان معاً لدى الشخص وخاصة في البلدان التي ينتشر فيها فقر الدم المنجـــلي .

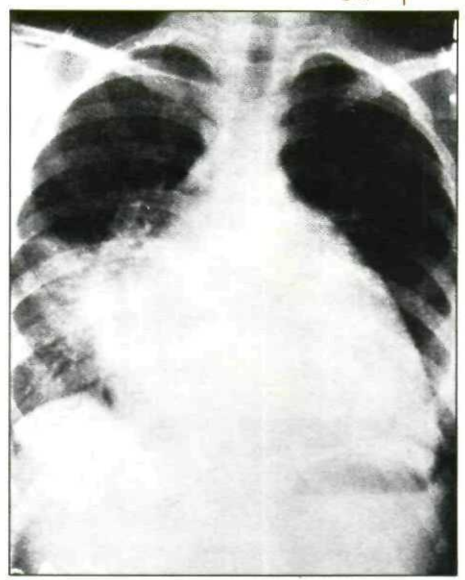
العـــلاج

بما أن حمى الروماتزم هي أحد مضاعفات بكتيريا المكورات السبحيّة الحالّة للدم من فئة « ب » ، وبما أن هذه البكتيريا شديدة الحساسية للبنسلين ، لذا يعطى كل مصاب حقنة من البنسلين الطويل الأمد — Benzathine Penicillin وهذه في الغالب كافية للقضاء على الجرثومة — واذا كان لدى المريض حساسية للبنسلين أعطي أحد المضادات الحيوية البديلة ، وبعد ذلك يعاد زرع عينة من الحلق للتأكد من خلوه من هـــذه الجرثومة .

أما بالنسبة لعلاج نوبة الروماتزم الحادة فمن الأهمية بمكان أن يخلد المصاب الى الراحة التامة ما دام الالتهاب نشيطاً ، وقد كان هذا العلاج هو حجر الزاوية بالنسبة لعلاج حمى الروماتزم في السابق ، أما الآن فلا داعي لذلك . هذا ويعتبر الأسبرين عقاراً أساسياً لعلاج حمى الروماتزم وخاصة اذا استعمل على الوجه الصحيح وبالكمية الكافية . ويعطى الاسبرين بكمية تتراوح ما بين ١٥ و ٢٠ ملغم للكيلوغرام الواحد من وزن المريض بالنسبة للأطفال ، و ٦ غرامات بالنسبة للكبار تعطى على ٤ أو ٥ جرعات يومياً . ثم تزاد هذه الكمية تدريجياً حتى تتم السيطرة على المرض أو تظهر علائم التسمم بالاسبرين



مقطع للقلب يظهر تضخم البطين الأيسر بسبب التهاب في القلب ناتج عن حمى الروماتزم وتلف الصمام الأبهر .



صورة شعاعية مأخوذة لصدر مريض مصاب بحمى الروماتزم تبين تضخم القلب ، والتهابه وتلف الصمام التاجي لديه .

والتي تظهر على شكل طنين في الأذنين ، وصداع وسرعة في التنفس . وفي هذه الحال تنقص جرعة الأسبرين إلى الحد الذي يحتمله المريض .

غير أن استعمال الأسبرين لدى بعض المرضى يصاحبه اضطراب في المعدة ، ولذا ينصح بتناول جرعات الاسبرين بعد وجبة خفيفة أو يضاف اليه بعض « مضادات الحموضة — Antiacids » لتجنب تأثيره على المعـــدة فيصبح بذلك مقبولاً لدى المرضى . كما يعتبر الاسبرين ذا فعالية خاصة في السيطرة على الحمى التي تصاحب الروماتزم والقضاء على التهاب المفاصل وكذلك في السيطرة على التهاب القلب . الا أن بعض الأطبـــاء يفضلون استخدام مستحضرات « الكورتزون » لعلاج التهاب القلب لما لهذه المستحضرات من فعالية شديدة في مقاومة هذا الالتهاب والسيطرة عليه . واذا ما فشل استعمال الأسبرين في السيطرة على التهاب القلب فانه ينصح باستخدام الكورتزون للغرض نفسه .

هذا ، ولا ينتهي العلاج ودور الطبيب بانتهاء نوبة حمى الروماتزم بل لا بد من وضع برنامج وقائي بحيث يحمي المريض من عودة الاصابة ببكتيريا المكورات السبحية الحالّة للدم من فئة « ب » ، وبالتالي من عودة نوبات حمى الروماتزم . ولعل انجع وسيلة لمنع الاصابة بهذه الجرثومة ، اعطاء المريض حقنة من البنسلين طويل الأمد شهرياً ، فهي كفيلة بالقضاء على هذه الجرثومة . غير أن الأطباء يختلفون في أمد استخدام حقن البنسلين هذه ، ولكنهم يجمعون على وجوب استمرار الشخص المصاب في تناول هذه الحقن شهرياً الى سن الخامسة والعشرين ولا سيما بعد مضي خمس سنوات على الأقل على آخر نوبة من نوبات حمى الروماتزم . أما في حال حدوث التهاب في القلب وتلف في صماماته فيجب على المريض تناول حقن البنسلين شهرياً طوال حياته وذلك للحيلولة دون تكرار نوبةحمى الروماتزم التي قد تتسبب في زيادة تلف صمامات القلب .

د . ابراهيم ناصر / الظهران



الأخلاق والقانون

بقلم : الدكتور محمود عثمان الهمشري

القانون عبارة عن مجموعة من القواعد التي تحكم او تنظم الروابط الاجتماعية والتي يجبر الافراد على اتباعها بالقوة اذا اقتضى الامر ذلك .

غير ان القانون ليس هو وحده الذي ينظم الروابط الاجتماعية او يحكم سلوك الافراد في المجتمع وانما توجد الى جانبه قواعد اخرى تؤدي دورها الفعال في هذا الشأن مثل قواعد الاخلاق وأوامر الدين ونواهيه .

وتعني قواعد الاخـلاق مجموعة المبادىء التي تكشف عن المثل العليا لما ينبغي ان يكون عليه الفرد في سلوكه نحو نفسه ، ونحو الغير .

ويفرق الفقهاء بين القانون والاخلاق من حيث الغرض ، ومن حيث النطاق ، ومن حيث الجزاء .

فمن حيث الغرض يرى الفقهاء ان القانون يهدف الى تحقيق غرض نفعي يتمثل في حفظ النظام في المجتمـع وتوفير الأمن والاستقرار فيه . اما الاخلاق فغايتها مثالية ، وتهدف الى الوصول بالفرد الى درجة الكمال ، وهي تأمر

بالمعروف وتحض على فعل الخير والتحلي بالفضائل ، وتنهى عن الشر وعن الرذائل .

ومن حيث نطاق كل من القانون والأخلاق ، فالملاحظ ان دائرة الاخلاق اوسع بكثير من دائرة القانون ، آية ذلك ان دائرة الاخلاق تشمل واجبات الفرد نحو نفسه ، وهذه هي الاخلاق الشخصية او الاخلاق الفردية ، كما تشمل واجبات الفرد نحو غيره من أفراد المجتمع ، وهذه هي الاخلاق الاجتماعية . والاخلاق تعنى بالمقاصد والنوايا ، ولا تقف عند السلوك الظاهري او الخارجي للفرد . اي انها لا تكتفي في الحكم على أفعال الفرد بظاهر سلوكه او افعاله . اما دائرة القانون فانهـــا اضيق من دائرة الأخلاق ، ذلك انها لا تشمل الا علاقات الفرد وروابطه مع غيره من الأفراد ، ولا تبدي اهتماماً كبيراً بواجبات الفرد نحو نفسه ، بل انها لا تعنى بكافة علاقات الافراد وروابطهم فيما بينهم ، لأنها لا تنظر الا الى أفعـــال الافراد الظاهرة فحسب ، ولا تعير اهتماماً بما ينـوون او يضمرون ما لم يقترن ذلك بسلوك ظاهري او خارجي للافراد .

ومن حيث الجزاء على مخالفـــة القانون وقواعد الاخـــلاق ، فان جزاء مخالفة القانون انما هو جزاء مادي توقعه السلطة بالفرد ، وبالقوة اذا لزم الأمر ، او التنفيذ على مال المدين جبراً ، في حين أن جزاء مخالفة القواعد الخلقية جزاء أدبي بحت ، يتمثل في تأنيب الضمير وسخط المجتمـــع او استنكار الرأي العام للتصرف او السلوك الذي بدر من الفرد .

ومن الفقهاء الحديثين من انتقـــد التفرقة او الفصل بين القانون والاخلاق ، وقال بأن للقانون أساساً خلقياً لا مراء في ذلك ، بل ان القانون والأخلاق يلتقيان في دائرة مشتركة . وكثير من القواعد القانونية ما يعتبر في ذات الوقت قواعد خلقية ، أو هي تطبيق سليم لهذه القواعد . فالقواعد القانونية التي تتناول بالتجريم والعقاب ، الاعتداء على شخص الغير أو ماله أو عرضه أو سمعته ، وتلك التي توجب الوفاء بالالتزام ، ليست في حقيقة امرها الا تقنيناً لقواعد خلقية .

ويقول بعض الفقهاء وعلى رأسهم الاستاذ « ريبير — Ripert » في كتابه عن « القاعدة الخلقية في الالتزامـــات المدنية — La regle morale dans les obligations civiles » ، انه من الخطأ القول بأن القانون لا يقيم وزناً للنوايا او المقاصد ، اذ الملاحظ في فروع القانون المختلفة ان للنية والقصد تأثيراً كبيراً أو فعّالاً في الحكم على افعال الافراد وتصرفاتهم ، وانه في كثير من الاحوال نجد ان القانون يعتـــد بالارادة والباعث .

ويضيف هؤلاء الفقهاء انه لا يوجد اي تعارض من حيث المبدأ بين القانون والاخلاق ، وانه لكي يتصور وجود مثل هذا التعارض ، يتعين افتراض ان القانون يأمر بالمنكر او ينهى عن الخير او نسلم بأن القانون يسمح بأمـــور تتنافى مع الاخلاق . وهذا ما لا ينبغي او يجوز ان يحدث أبداً ، ذلك ان القانون والاخلاق انما يهدفان الى تحقيق الخير العـــام لافراد المجتمع وحسن العلاقات والروابط بينهم . ومن اجل ذلك كانت الأوامر والنواهي القانونية هي في أغلب الاحوال ، وفي الوقت نفسه ، أوامر ونواهي خلقية ، او ان القاعدة القانونية هي في أصلها قاعدة خلقية واقترنت بجزاء مادي على مخالفتها أو الخروج على مقتضاها .

على انه مهما كان من امر محاولة التفرقة او الفصل بين دائرة القانون ودائرة الاخلاق ، او محاولة التقريب بين هاتين الدائرتين ، فمما لا شك فيه ان هناك اختلافاً بيّناً من حيث النطاق بين دائرة القانون ودائرة الاخلاق . فهناك مسائل كثيرة يستقل القانون بتنظيمها ، ولا شأن للاخلاق بها لاتصالها بنظام المجتمع واستقراره ، مثال ذلك قوانين الضرائب واجراءات التقاضي أمام المحاكم . بل ان القانون كثيراً ما يتولى تنظيم مسائل على نحو يتعارض مع ما تقضي بـــه قواعد الاخلاق ، اذا كان تنظيم هذه المسائل مما تقتضيه الضرورة لحفظ الامن والنظام في ربوع البلاد . فقواعـــد الأخلاق تحض الفرد على ضرورة الوفاء بما في ذمته من دين مهما كان تاريخ نشوء هذا الدين ، ومع ذلك نجد ان القانون لا يجبر المدين على الوفاء بدين انقضى بمضي المدة المقررة ولم يكن قد طالب به الدائن خلال تلك المدة .

ومن زاوية أخرى توجد مسائل كثيرة تستقل بها الاخلاق ، ولا شأن للقانون بها . فنجد مثلاً ان الاخلاق توصي بالاحسان الى الفقراء ، واغـــاثة الملهوف ، وتحض على الصدق في القول ، والامانة في العمل ، وتنهى عن الرياء والنفاق ، هذا بالاضافة الى المسائـــل الأخرى التي تتصل بواجبات الفرد نحو نفسه .

وخلاصة القول إن القانون انمـــا يستلهم في تطوره قواعد الأخلاق . ولا شك انه كلما ارتقت الانسانية وتقدمت ، ضاقت رقعة الخلاف بيـن القانـــون والأخلاق ، وبالتـــالي تحولت القواعد الخلقية الى قواعد قانونية .

د . محمود عثمان الهمشري — الرياض

الرّسالة المسْتعجلة

تعريب سميح أبو مغلي

كان يقف مكتئباً ، قانطاً ، بجوار حائط السور ، حين مررت به ، فبادرني قائلاً : أنا جد مغتبط برؤيتك . فتوقفت على الفور ، وقلت : أهلاً ، أنت السيد سيمون ، أليس كذلك ؟ وكانت عائلة سيمون قد سكنت حديثاً في حيّنا ، وصدف أن شاهدناهم ، زوجتي وأنا ، مرة أو مرتين فقط .

قال لي : بلى ، أنا سيمون .

واكتسى محياه السرور لانني تعرفت اليه بهذه السرعة ، ثم استطرد يقول : هل لي أن استدين منك ثلاثة قروش ؟

ورحت أزج يدي في جيوبي باحثاً عن المبلغ المطلوب ، بينما هو يقول : ها أنت تراني أحمل رسالة ، سلمتها لي زوجتي لكي أضعها في البريد ، ولكنني لاحظت أنها لم تلصق عليها طابع بريد .

فأجبته ملاطفاً : النساء دائماً يفعلن هــذا .

قال : لا بد أن أبعث بهذه الرسالة هذه الليلة ، حقيقة لا بد أن ارسلها ، ولكن لا أظن انني سأجد مكتب البريد مفتوحاً في مثل هذه الساعة من الليل . وكانت الساعة تشير الى الحادية عشرة تماماً ، غير أنه أوضح لي — بشيء لا يخلو من الاعتزاز بذكائه وتفكيره — انه يستطيع الحصول على طوابع بواسطة الآلة الخاصة بذلك لولا أنه كان قد اكتشف خلو جيوبه من النقود اللازمة .

فقلت له بعد أن فرغت من البحث في جميع جيوبي : انني في غاية الأسف ، ليس معي شيء أيضاً .

قال : لا بأس يا عزيزي .

قلت : عسى أن نجد أحداً يعطينا المبلغ ، هيا .

وأخذ كل منا ينظر الى هذا الجانب من الطريق طوراً ، ثم الى الجانب الآخر تارة أخرى ، بيد أننا لم نوفق في رؤية أي صديــق .

فقلت : حسناً ، ما باليد حيلة .

وهممت بالانصراف ، الا أن مظهره المفعم بالأسى واليأس ، وهو يحمل ظرفاً أزرق اللون ، دون طابع ، جعلني لا أقوى على التخلي عنه ، فأردفت أقول له : ما رأيك أن تأتي معي الى منزلي ، انــه قيد خطوات من هنا ، وسأحاول أن أجد لك بعض القروش هناك .

فرمش بعينيه رمشة حماس لا تخلو اغتباط وقال : كم أنت رجــل طيب وكريم !

وفي البيت ، بذلت جهداً جهيداً حتى عثرت على المطلوب ، وما أن وفقت في ذلك ، وسلمته القروش حتى راح يدون المبلغ في دفتر ملاحظات معه ، وعلى محياه تبدو سيماء رجل أعمال من الطراز الأول ، ثم انصرف .

ورأيته يخطو بضــع خطوات في الطريق ، ثم يعود إلي ليقول : انني جد آسف لازعاجي اياك ثانية ، ولكن في الحقيقة ، اننا غرباء في هذا الحي ، واشعر انني قد أضل الطريق ، فهل تتكرم وترشدني الى البريد ؟

وبذلت جهدي ، وأمضيت ثلاث دقائق طويلة أشرح له كيف يصل الى



مكتب البريد ، غير أنني أحسست في النهاية بأنني قد ضعت مثله ، فعرضت عليه أن أرافقه .

وأوصلته الى مكتب البريد ، فأدخل قرشاً في الآلة الخاصة بالطوابع ، وسقط القرش في جوف الآلة محدثاً قرقعة دون أن يأتي بالطابع المطلوب . فنظر الي « سيمون » نظرة من لا يدري ما يفعل بعد ذلــك ..

فأوضحت له أن الآلة خاليــة من الطوابع ، وبينما هو في غمرة الغضب الشديد اذ سقطت منه الرسالة علــى الرصيف ، حتى اذا ما التقطها وجدها ملطخة بالطين ، فتميز من الغيظ ، وقال متبرماً ، ها هي الرسالة قد تلوثت بالطين .

ثم عاد الى الآلة يخضخضها من

جديد ، عله يعتصر منها طابعاً ، ثم قال : ماذا عسانا نصنع الآن ؟

وكسوت وجهي بملامح موظف بريد للحظة من الزمان ، وأجبته متسائلاً : أظن أنه لا بد من أن ترسل الرسالة هذه الليلة ؟!

قال : يا عزيزي ، نعم ، لا بد من ذلك ، ان زوجتي مصرة وملحة على ذلك ، وقد قالت ان علي أن لا .... أوه ، انني أعلم أن الرسالة على جانب كبير من الأهمية ، يجب أن أضعها في البريد الآن ، لو تعلم ما أعنيه .

قلت : نعم ، أعلم حق العلم ، أو على الأقل أعرف السيدة سيمون .. وهنا تذكرت فجأة أن لدي دفتراً فيه بعض الطوابع في البيت ، وعندما أخبرته بذلك صاح بي محتداً : عليك أن تتذكر ذلك قبل الآن !

فقلت : هيا بنا قبل أن يفوتنا موعد البريد.

واسرعنا ، وكان خيراً ما فعلنا ، لأن البحث عن دفتر الطوابع استغرق منا وقتاً طويلاً ، ولم يكن في الحقيقة جديراً بما تكبدناه في ايجاده من عناء ، اذ كان خاوياً ، وكان كل ما استطاع «سيمون» أن يقوله هو : يا له من أمر يبعث على الغيظ ويثير الغضب .

قلت : بل انه لأمر مضحك ، لقد كنت على وشك أن أقسم لك بأن الدفتر مليء بالطوابع .

فأجابني والحزن مرتسم على وجهه : ولكن ماذا أفعل بالرسالة ؟

قلت وقد بدأ اهتمامي برسالته يفتر : ارسله بدون طوابع يا أخي .

فقال وقد أشرق وجهه : أحقاً استطيع ذلك ؟!

قلت : وماذا تفعل غير ذلك ؟ سيدفع المرسل اليه ضعف قيمة الطوابع لدى تسلمه الرسالة في الصباح ، ولكن لا مندوحة عن ذلك .

قال : لست أميل الى مثل هذا التصرف .

قلت : ولا أنا ، ولكن هيا اسرع قبل أن تفوتك الفرصة الأخيرة لجمع الرسائل .

وما أن سمع بالفرصة الأخيرة حتى اضطربت أعصابه ، ومضى يهرول .

وصحت خلفه : هيه ... أسلك الطريق الثانية ...

ولكنه عاد وهو يلهث ليقول : آسف ، أظن أنني ضللت الطريق مرة أخرى ..

ولم أفكر في أن أشرح له ، اختصاراً للوقت ، وانما أمسكت بذراعه ، وقدته الى مكتب البريد .

ولقد وصلنا في الوقت المحدد لجمع الرسائل ، في منتصف الليل . ولكي أكمل معروفي تجاهه أوصلته الى بيته . وعند باب داره ، أخذ يؤكد لي بكل جدية وحماس كم أنا عاجز عن شكرك ، لست أدري ماذا كنت سأفعل لو لم أقابلك ، ان الرسالة عبارة عن دعوة لتناول العشاء ... أوه ، يا إلهي !

قلت : ماذا ... ماذا في الأمر ؟

قال : لا ، لا شيء ، انما تذكرت شيئاً .

قلت : وماذا تذكرت ؟

ولكنه أبى أن يفصح لي بشيء ، وانما جحظت عيناه كما لو كان سمكة مرجان مريضة أو جريحاً ، ثم قال بحشرجة : تصبح على خير .

وانسل داخلاً بسرعة . وبقيتُ طول الطريق الى منزلي أفكر ماذا تُرى قد تذكر ، غير أن دهشتي قد تبددت في صبيحة اليوم التالي عندما اضطررت لدفع ستة قروش الى ساعي البريد الذي سلمني رسالة زرقاء اللون ملطخة ببقعة كبيرة من الطين •

سميح أبو مغلي – عمان



العين العاشقة

لكِ اللهُ من عين تلوعت بالجوى ... واوقعتِ هذا القلبَ في لجةِ الحب

وهونتِ لي الشّوقَ العصيَّ ونارُه ... تكادُ تذيبُ الجسمَ في البعد والقرب

وزينتِ لي حبَّ الجمالِ وأضلُعي ... تهاب الهوى يحلو فيرنو له جَنبي

أنْسَيتِني أهْلي وَصَحْبي وَجيرتي ... وزُغْبَ القطا يا عين ، في نُطقِها تَسْبي

لها بَسمةٌ في الصبحِ ، لثغٌ يشوقُني ... اذا بكُرت تحبو فيجبو لها لُبّي

* * *

لكِ اللهُ من عين تماديت في الهوى ... وأشْقَيْتني دوماً على ذلكَ الدّرْبِ

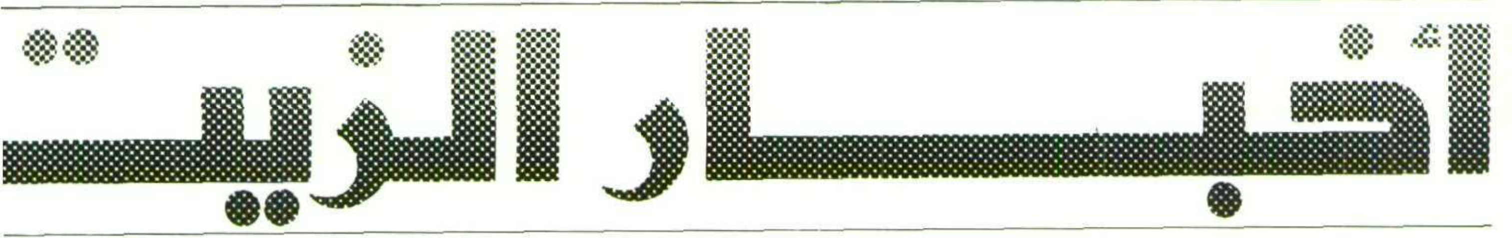
ولا أنت عَمْشاءٌ ، ولا الجسْمُ واهنٌ ... ولا ساقهُ كَسْلى إذا قيلَ للقلْبِ

تسيرُ الضّحى ، ظُهرا ، وفي الليلِ اذ سجا ... وتَطْوي القفارَ البيد في الشّرقِ والغرْبِ

تروحُ الى اللقيا بِخفّةِ طائر ... سواءٌ لديها القيْظُ أو دائمُ السّكبِ

فما دونَ ما يهوى الفؤادُ عوائقٌ ... وما دونَ ذات الحُسْنِ من مسلك صعبِ

إبراهيم أحمد الشنيطي


أخبار الزيت





معمل جديد لمعالجة الكيروسين

تم مؤخراً تشغيل معمل جديد لتحلية ومعالجة الكيروسين في معمل التكرير برأس تنورة ، بطاقة قدرها ٦٠٠٠٠ برميل يومياً . وتتم عملية التحلية هذه في المعمل الذي يحمل رقم ٧١ بطريقة ميروكس ، وذلك عن طريق مزج وتفاعل عدد من المواد الحمضية والعضوية بعضها ببعض ، في وعائين متشابهين طاقة كل منهما ٣٠٠٠٠ برميل في اليوم . بعد ذلك يدخل الكيروسين المعالج في مكان خاص يتم فيه تسخينه حتى يصل الى ١٢٥ درجة فهرنهايت .

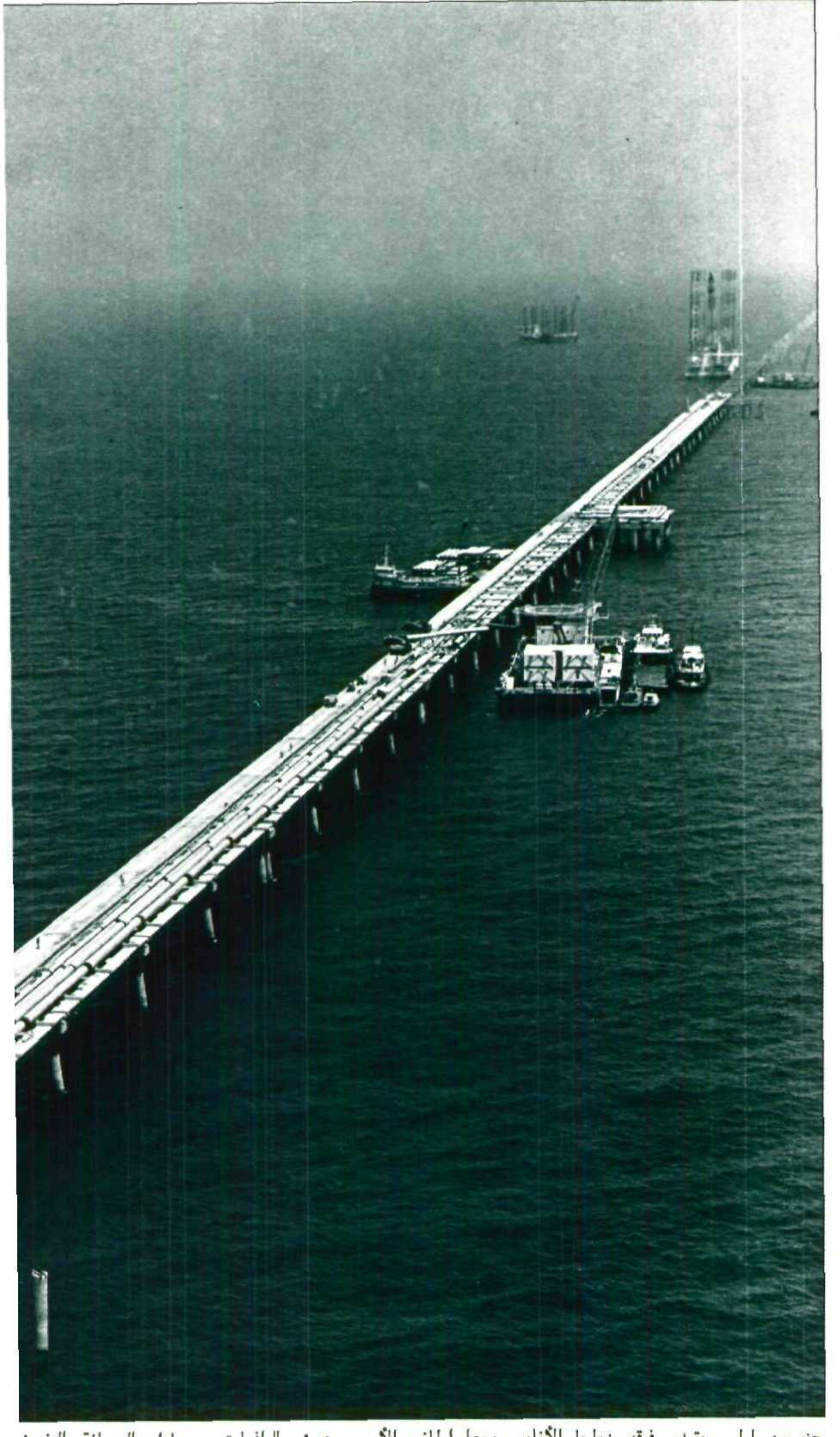
مرافق شحن الغاز في الجعيمة

بدأت قواعد أنابيب شحن الغاز تأخذ شكلها الطبيعي في مياه الخليج مقابل مركز تجزئة الغاز الطبيعي السائل في الجعيمة على مقربة من رأس تنورة. وقد صممت هذه القواعد لتكون دعامات ترتكز عليها خطوط أنابيب نقل البوتان والبروبان التي تبلغ قطرها ٣٦ بوصة من مركز التجزئة الى منصتين للشحن تقعان على مسافة عشرة كيلومترات من المركز.

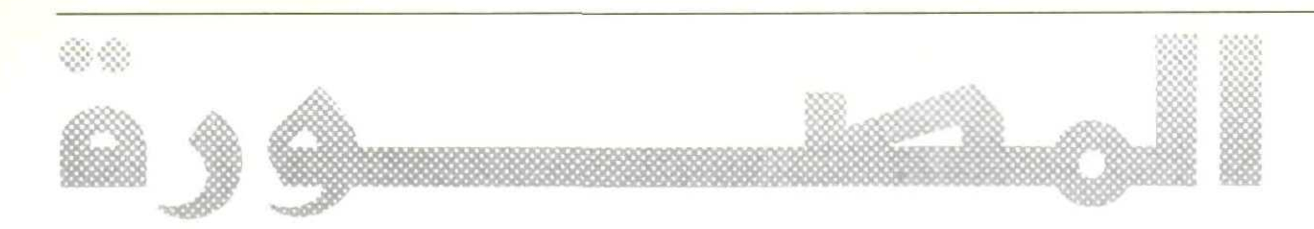
ويعتبر هذا الجسر من الأنابيب والممرات أطول المرافق التي أقامتها أرامكو من هذا النوع حتى الآن، وربما يكون الأضخم من نوعه في العالم.

والقواعد أو الدعامات الآنفة الذكر عبارة عن أنابيب من الأسمنت المسلح المصنعة مسبقاً. وهي تركب كوصلات جاهزة طول كل منها خمسة أمتار تقريباً، كما يتراوح قطرها بين ٥٤ و ٦٦ بوصة وهي مصممة بشكل يسمح لها أن تلين قليلاً حتى لا تتعرض للكسر تحت ضغط معين. كما يوضع بداخلها أنابيب وأسلاك تزيد في قوتها وطاقة تحميلها.

هذا وقد بدىء مؤخراً بمد أنابيب نقل غاز البترول السائل فوق هذه القناطر الممتدة من مركز التجزئة الى مرافق الشحن الضخمة التي تسمح باستقبال ناقلات تتراوح حمولتها بين ٢٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ متر مكعب من غاز البترول السائل. وعندما يتم انجاز جميع مرافق الشحن ستصبح هذه الفرضة أكبر فرضة في العالم لشحن الغاز السائل، ويتوقع أن تكون جاهزة في أواخر عام ١٩٧٩.

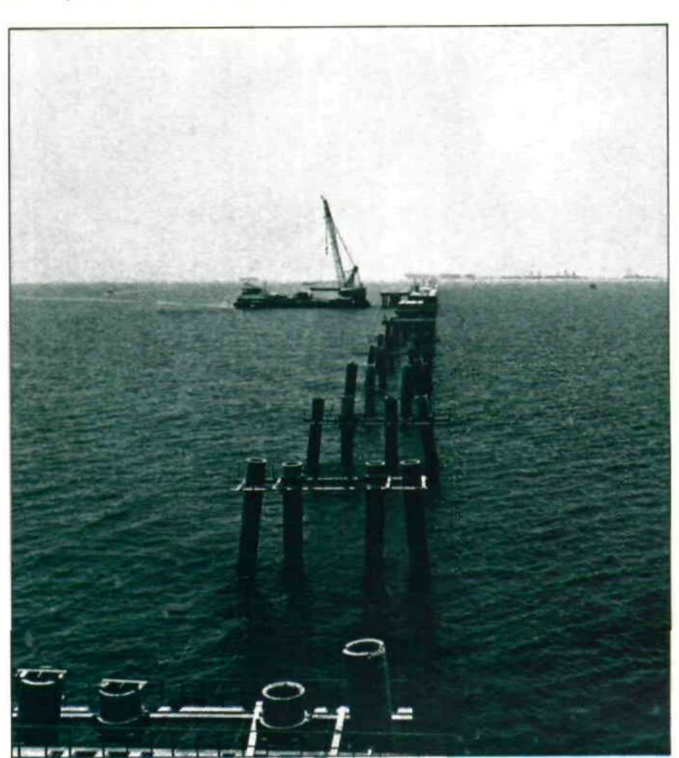


جزء من الجسر وتبدو فوقه خطوط الأنابيب، وعلى الجانب الأيسر منه ممر للرافعات و سيارات الصيانة والتفتيش





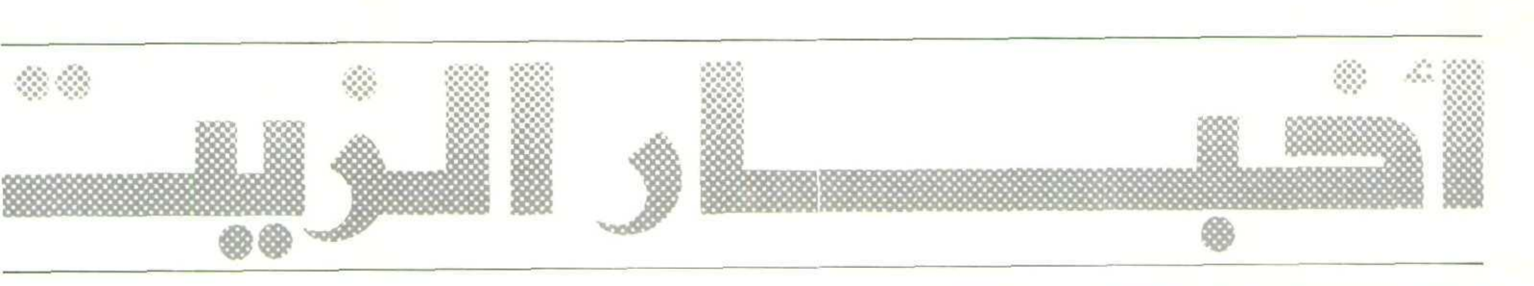
جانب من الجسر حيث يقوم الفنيون بانشاء ممر خاص بسيارات الصيانة .



مجموعة من الأعمدة الاسطوانية التي يقام عليها الجسر وتبلغ أكثر من ١٥٠٠ عمود.



عارضة توضع فوق الأعمدة لتثبيتها . ويبلغ وزن الواحدة منها ١٧٠ طنا .

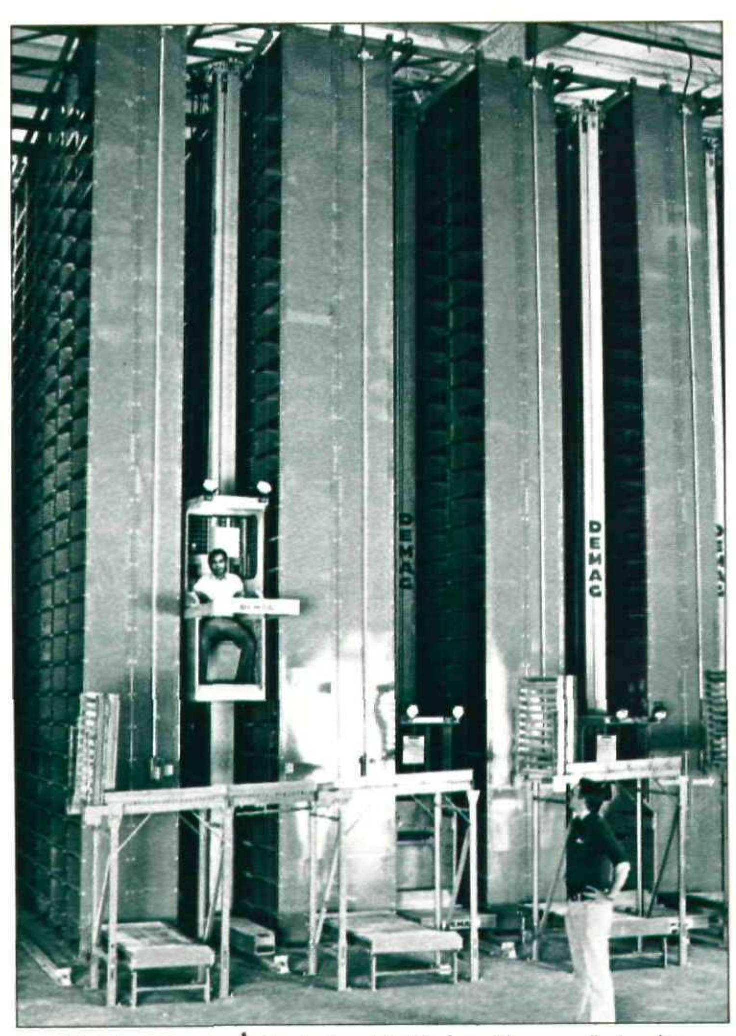


بعض الأجهزة الخاصة التي تسهل عملية تخزين نحو مئة ألف صنف من السلع .

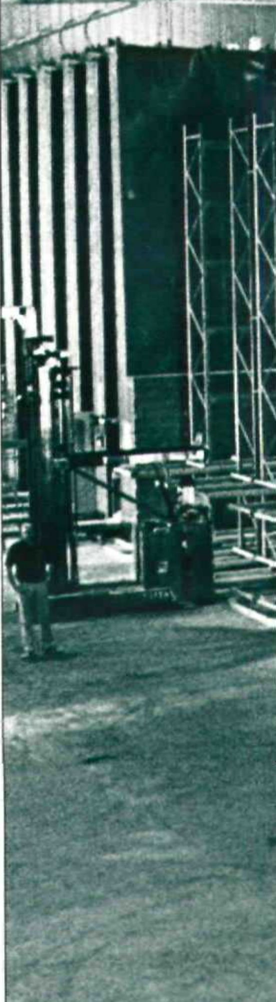


إقامة مستودع جديد في ساحة المواد بالظهران

أقامت أرامكو مستودعاً جديداً في الظهران تبلغ مساحته ٧٥٠٠٠ قدم مربع . وهو يستوعب نحو ١٠٠٠٠٠ صنف ، ويشتمل على أحدث المعدات اللازمة لمناولة المواد . وقد بني الهيكل الرئيسي للمستودع من صفائح الالومنيوم المحشوة بالزجاج الليفي كمادة عازلة للحرارة ، ويتألف من منطقة تخزين مكيفة تبلغ مساحتها ١٠٠٠٠ قدم مربع ، ومنطقة للمكاتب من طابقين تبلغ مساحتها ١٨٠٠ قدم مربع . أما المنطقة المخصصة لتخزين المواد والسلع فترتفع ٣٠ قدماً ، وقد جهزت بمنصة متنقلة توضع عليها السلع لنقلها ، ورفوف من الصفائح الفولاذية تتخللها ممرات ضيقة . هذا الى جانب أرصفة التحميل المظللة في طرفي المستودع الشمالي والشرقي والتي تشتمل على منصات متحركة تمكن الرافعات الشوكية من الوصول الى الشاحنات لتسهيل عملية التحميل والتفريغ .

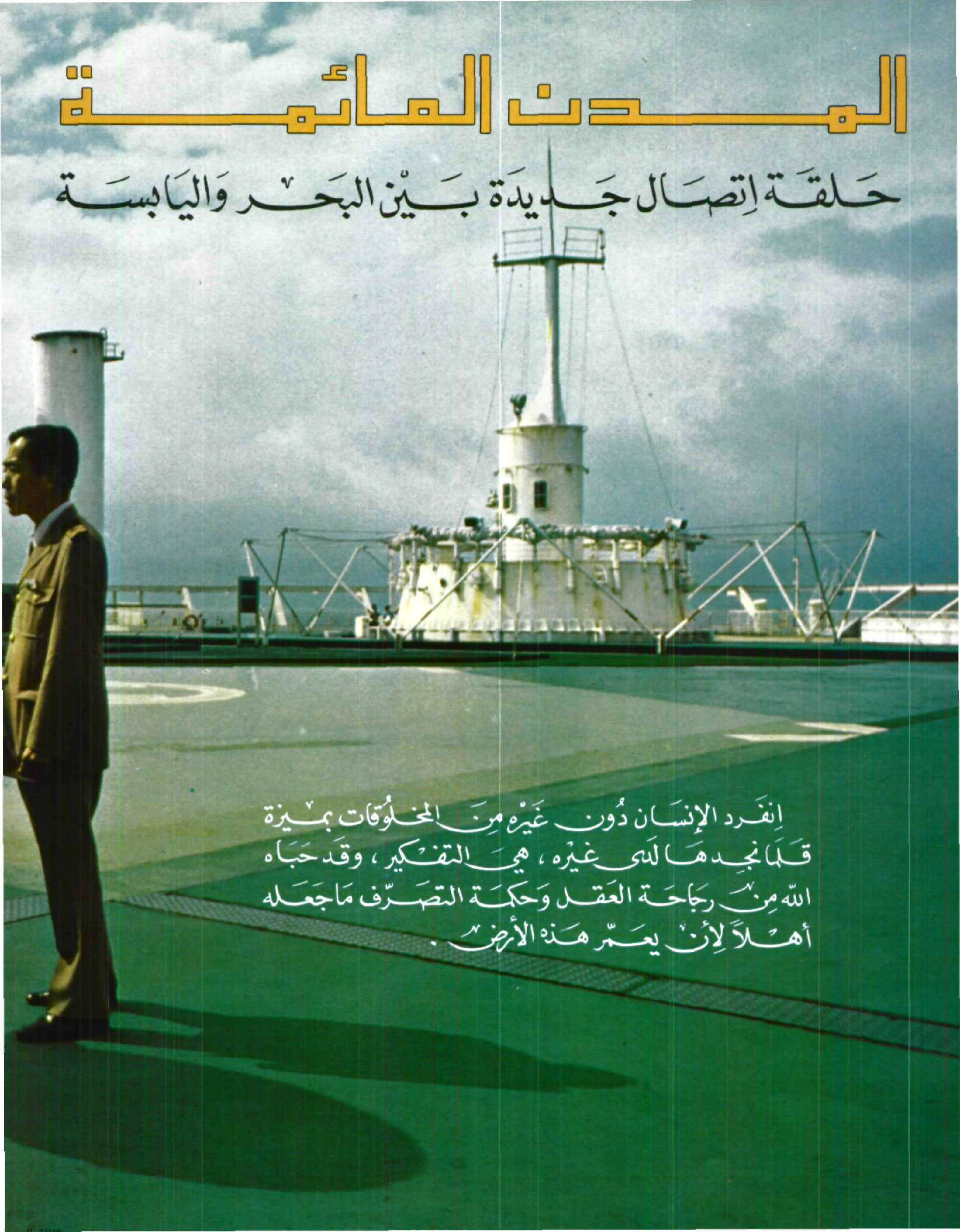


منظر عام للمستودع الجديد في الظهران ويشتمل على أحدث معدات المناولة .



المدن المائمة

حلقة إتصال جديدة بين البحر واليابسة



إنفرد الإنسان دون غيره من المخلوقات بميزة قلما نجدها لدى غيره، هي التفكير، وقد حباه الله من رجاحة العقل وحكمة التصرف ما جعله أهلاً لأن يعمر هذه الأرض.



اثنان من سكان المدن العائمة التقيا على سطح احداها وأخذا يتبادلان الأحاديث .

لقد مرت قرون على الانسان وهو قانع بما لديه راض عن أوضاعه ، ولما ضاقت به اليابسة على رحابتها لجأ الى البحر يقيم فوق سطحه المدن العائمة ، ومن أعماقه يستخرج مأكله ومشربه . قال تعالى **« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »** . وقد حقق الانسان طموحات تكاد ترقى الى مرتبة الخيال ، فصعد الى سطح القمر ، وهو يعود الآن الى كوكب الأرض ليستوطن سطح البحر .

وهناك الآن مدينة عائمة فوق سطح البحر تستطيع استيعاب واعالة حوالي ٢٤٠٠ مقيم على ظهرها ، وهي تمثل نموذجاً مصغراً لمدن أكبر حجماً تقام في المستقبل تكون على قدر كبير من الاكتفاء الذاتي .

نحن الآن في العقد الأول من القرن القادم ، والمكان هو « مدينة المحيط » وهي مدينة احدى قدميها راسخة باحكام فوق اليابسة ، والقدم الأخرى راسخة في البحر . الوقت صباحاً ، ونشاهد العبّارات السريعة وهي محملة بالموظفين من سكان المجمعات السكنية تتجه بهم الى مكاتبهم فوق اليابسة . وهناك عبّارات أخرى تنطلق من العمارات السكنية العائمة تنقل العمال الى المصانع والمزارع والى العديد من المنصات الأخرى العائمة والتي تمتد بمحاذاة الشاطيء . بعض هذه المنصات عبارة عن مزارع للخضار والبعض الآخر بساتين للفاكهة ، وأخرى على شكل مزارع لتربية الأبقار والأغنام .

بالاضافة الى هذه الموارد من الغذاء ، هناك مورد آخر هو الأسماك الطازجة في مزارع الأسماك العالية الانتاج ، والتي تحيط بالمدينة . أما الطاقة والانارة والتدفئة في المدينة فهي مستمدة من الطاقة الكهربائية التي تتولد من الشمس والرياح والأمواج المائية ، وتيارات المد والجزر . لقد انتهى عهد تلوث الأجواء



٢



١

٣

١ - بعض الأنابيب والمعدات الخاصة بمعمل تصنيع لب الخشب وقد انزلت بالقرب من موقع بناء المعمل العائم

٢ - صالة الزوار داخل المدينة العائمة حيث الراحة والهدوء بالاضافة الى وجود مطعم للمأكولات الخفيفة ومكتب للبريد وآخر للتلفونات .

٣ - العمل في ذروته لبناء هذه المدينة العائمة التي سوف تدشن في القريب من أحد أحواض البناء في اليابان .

٤ - رئيس بلدية المدينة العائمة واحد المساعدين في غرفة المراقبة أثناء تأدية عملهما.



الذي كان يشغل تفكير الأجيال الماضية وكذلك ازدحام حركة السير . وبالاضافة الى العبّارات التي تمخر سطح مياه المحيط ، هناك الطائرات الحوامة ، وهناك القطارات الكهربائية التي تخترق الأنفاق في قعر البحر بسرعة ودون أي ازعاج .

ان مثل هذه المدن المستقبلية هي من صميم الواقع ويجري الاعداد لها حالياً ، وقد تم بناء مدن نموذجية مصغرة بالفعل .

لماذا هذه العودة المتوقعة الى البحر ؟ لقد أصبحت الأسباب أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم . ان الكتلة اليابسة من الأرض تشكل ٢٩ في المائة فقط من المساحة الكلية للأرض . وقد أصبح العديد من المناطق شديد الاكتظاظ ، ويتوقع أن يتضاعف عدد سكان الأرض البالغ حالياً ٣,٧ بليون نسمة في مطلع القرن القادم . وببساطة فان الموارد المتوفرة على سطح الأرض لن تكون كافية لاعالة هذا العدد الضخم من السكان . وكلما ضاقت بنا الأرض على رحبها لم يبق أمامنا سوى اتجاه واحد نتجه اليه . وبخلاف الفضاء الواسع فان ذلك الاتجاه سوف يكون الى البحر .

ان فكرة اقامة المجتمعات السكنية فوق سطح المياه المغمورة ليست بالجديدة . فقد تم العثور على بقايا مجتمعات سكنية فوق سطح الماء كانت مشادة فوق أعمدة طويلة مدقوقة في أعماق البحيرة في سويسرا . ويرجع تاريخ هذه المساكن العائمة الى فترة ما قبل التاريخ . وقد منحت هذه المساكن فوائد جمة لسكانها منها حماية القاطنين بها من غزوات الأعداء ، وتأمين وسائل النقل المريحة ، بالاضافة الى وجود مورد ثابت من المواد الغذائية الطازجة .

وتعتبر مدينة فينيسيا ، والتي كانت تدعى العاصمة المشادة فوق سطح البحر ، نوعاً من المدن العائمة . كما أن المشاكل التي واجهت المؤسسين لهذه المدينة العائمة ، هي نفس المشاكل التي يقوم المهندسون في عصرنا الحالي بدراستها وايجاد الحلول المناسبة لها . ولا يوجد أحد اليوم يخطط لبناء فينيسيا جديدة ، لكن هناك العديد من العلماء في وقتنا الحالي يكرسون أنفسهم ويسخرون علمهم من أجل تطوير البحر وتحويله الى بيئة مناسبة يعيش الانسان فوق سطحه ويستفيد من خيراته الوفيرة .

لقد تم تدوين الكثير من تاريخ الجنس البشري في عرض البحر ، وذلك من خلال الرحلات البحرية الكبرى التي قام بها الرواد والمستكشفون الأوائل الذين مخروا عباب اليم بحثاً عن المجهول واستكشاف القارات الجديدة ، وكذلك الغزوات البحرية . كما أننا قد اتخذنا من خيرات البحر الوفيرة طعاماً لنا منذ ما قبل التاريخ . ناهيك عن أعمال الغوص الى أعماقه بحثاً عن المعرفة والكشف عن كنوزه الدفينة ، وكذلك استخلاص ماء الشرب عن طريق المعالجة والتقطير . كما أننا قد بدأنا بتسخير مخزونه الهائل من الطاقة



٤

لتوليد الطاقة الكهربائية . لكن كل هذه الأمور ليست الا بداية وسيصبح البحر في المستقبل بدون شك أكثر أهمية وحيوية بالنسبة الينا .

كان المعرض الدولي الأول للمحيطات الذي أقيم في جزيرة أوكيناوا ، واستمر من شهر يوليه عام ١٩٧٥ حتى يناير ١٩٧٦ خطوة كبيرة في هذا الاتجاه ، وقد حضره حوالي ثلاثة ملايين نسمة قدموا لمشاهدته من جميع أنحاء العالم ، ومن المستبعد أن يكون الكثيرون قد فاتهم تفقد المدينة البحرية العائمة الحالمة التي أقيمت فوق المياه والتي لا تبعد أكثر من ثلاثمائة متر من منتصف المنطقة التي أقيم فوقها المعرض الدولي الأول للمحيطات .

ترتفع المدينة البحرية التي تتلألأ باللون الأبيض المنعكس على أرضية زرقاء حوالي ثلاثين متراً فوق مستوى سطح البحر ويبلغ طول ضلعها أكثر من اثنين وتسعين متراً

أي ما يعادل مساحة ملعب كرة قدم . وهي عبارة عن مبنى مكون من عدة طوابق مقامة فوق منصة شبه عائمة ، يمكن سحبها الى منطقة الأمان في المياه العميقة في حالات العواصف الشديدة وحالات ارتفاع الأمواج .

تكون المدينة البحرية خلال الأحوال الطبيعية متصلة بالشاطيء عن طريق جسر طويل روعي في انشائه أن يكون على درجة عالية من المرونة بهدف التكيّف مع حركة المنصة . ورغم أن الجسر قد بني بشكل رئيسي لاستيعاب حركة المشاة ، الا أنه قادر في الوقت نفسه على حمل سيارات الاسعاف والشاحنات . وفي أسفل المدينة العائمة توجد المزرعة البحرية المرتبطة بها ، ويستطيع المشاة بمحاذاة سياج الممرات النظر الى أسفل ورؤية المياه وهي تعج بالاسماك . وقد ضمت المنصة الرئيسية للمدينة خلال فترة اقامة المعرض قاعة المعروضات البحرية ، وأجنحة المعرض المختلفة ، وغرف الآلات ومطارا لهبوط الطائرات الحوامة في الحالات الطارئة . كما ضمت المنصة السفلية قاعات العرض الأخرى مثل غرف المراقبة ، وغرف الاستخدامات الخاصة . وقد جرى تحويل هذه الغرف الى أماكن سكن للفريق الذي يتولى تشغيل وصيانة هذه المدينة العائمة التي تعتبر الأولى من نوعها في العالم .

وقد أوضح المهندسون الذين قاموا ببناء هذه المدينة العائمة أن هدفهم الرئيسي عرض الأعمال البشرية في مجال التطوير البحري ، ووضع القواعد الأساسية التي يستطيع الانسان بموجبها التوجه نحو البحر . وفكرة المدينة العائمة هذه مستوحاة من التكنولوجيا الأساسية اللازمة لبناء الهياكل الضخمة العائمة وشبه العائمة ، والتي أصبحت متوفرة لدى المؤسسات التي تقوم حالياً ببناء أبراج الحفر في المناطق المغمورة بالمياه . لكن المدينة البحرية هذه أكبر حجماً من أي برج حفر تم بناؤه حتى الآن ، ومع ذلك فهي تعتبر نموذجاً مصغراً اذا ما قيست بالمدن العائمة المستقبلية التي يجري التخطيط لها .

ولدت فكرة المدينة العائمة في اليابان ، البلد الذي يفتقر الى اليابسة ، حيث يدرس المهندسون هناك امكانية بناء مدن عائمة تتراوح مساحتها بين أربعة وعشرة كيلومترات مربعة ، وحتى ثلاثين كيلومتراً مربعاً ، على أن تكون هذه المدن العائمة فوق الجرف القاري . وتجري التجارب حالياً للبدء ببناء أرصفة عائمة مصنوعة من العوّامات الفولاذية يبلغ غاطس الواحد منها عشرة أمتار ومساحتها مائتي متر مربع . فاذا أمكن جمع اعداد كبيرة من هذه العوامات الفولاذية الضخمة وربط بعضها ببعض ، فان المهندسين الذين قاموا بوضع هذه التصاميم ، يعتقدون انه بالامكان الحد من الحركة الناجمة عن الأمواج البحرية وحصرها في حدود ثلاثة سنتمترات تقريباً .

وحيث أن التطلع الى البحر لبناء المجتمعات هي فكرة جديدة تماماً ، فان هناك العديد من العناصر التي تستوجب الدراسة الدقيقة ، مثل دراسة تيارات المد والجزر ، وارتفاع الأمواج ، والظواهر الطبيعية الأخرى للمحيطات بالاضافة الى ضرورة دراسة طرق تزويد سكان هذه المجتمعات بالطاقة ، والمياه العذبة وغيرها من الضروريات . لكن المصممين الذين وضعوا تصاميم هذه المجتمعات العائمة لا يرون أية مشاكل مستعصية الحل ، وهم يشيرون بذلك الى استخدام الطاقة النووية في استخلاص المياه العذبة من البحر . كما أنهم يخططون لتسخير الطاقة الطبيعية الكامنة في المحيط للعمل من أجل توليد الطاقة .

ويصف أحد أساتذة جامعة هواي « المدينة البحرية » بقوله انها تشكل خطوة الانسان الكبيرة الأولى نحو بناء مدن عائمة متكاملة ، وهي في الوقت نفسه تعادل من حيث الأهمية خطوة الانسان الأولى باتجاه القمر . ومع ذلك ، فهي ما زالت الخطوة الأولى . لكن الخطوات الأخرى التي ستساهم في وضع الأسس التقنية المتكاملة لبناء مثل هذه المدن البحرية العائمة هي الآن قيد التنفيذ ، وهي تسير بالتدريج من الرسومات المخططة الى ساحة الانشاء .

وتشير مجلة « نيويورك تايمز » الأمريكية الى أن هناك الآن عشر شركات ، في سبع دول تقريباً ، تقوم بالتخطيط لبناء مصانع عائمة لأنواع مختلفة من الصناعات . ففي اليابان على سبيل المثال ، قامت شركة اشيكا واجيما – هاريما للصناعات الثقيلة ، مؤخراً بانزال مصنع عائم لصناعة لب الورق للتطوير الحرجي في البرازيل . ويتألف المصنع من هيكلين زنة الواحد منهما ٣٠٠٠٠ طن وطوله ٢٣٠ متراً ، وعرضه ٤٥ متراً بعمق ١٤,٥ متر . خصص واحد منهما لحمل معدات الطاحونة ، وخصص الآخر لحمل معدات الطاقة . وقد قامت قوارب السحب بجر هذه الطاحونة العائمة ، وهي الأولى من نوعها في العالم ، مسافة حوالي ٢٥ ألف كيلومتر عبر مياه المحيط الى نهر الأمازون في البرازيل ، في وسط الغابات الحرجية الكثيفة الكثيرة الامطار ، حيث يعتبر اقامة معمل مماثل على اليابسة أمراً باهظ التكاليف ويستغرق وقتاً كبيراً . وستكون منصة المعمل مثبتة بشكل دائم فوق أعمدة جرى اعدادها مقدماً في الموقع المخصص للمعمل العائم والذي سيبدأ الانتاج بمعدل ٧٥٠ طناً في اليوم من لب الورق.

وفي أندونيسيا يجري تحويل وتزويد السفن الكبيرة الحمولة بالمعدات اللازمة لتصبح معامل عائمة للسماد . وفي المملكة العربية السعودية ،





عدد من الأطفال في زيارة للمدينة العائمة شدهم منظر مزرعة الأسماك التي تضم أكثر من ٥٠ ألف سمكة من مختلف الأنواع .

من المقرر وصول ثلاثة معامل من صنع ياباني لازالة الملوحة من مياه البحر . ويستطيع كل معمل انتاج حوالي ٧٠٠ طن من مياه الشرب في اليوم لتأمين حاجة العمال الذين يشاركون حالياً في انشاء مجمع صناعي ضخم يقام على الساحل الشمالي من مدينة جدة . وتتميز معامل التحلية العائمة هذه بأنها أقل كلفة وأسرع بناء من مثيلاتها التي تقام فوق اليابسة ، كما أنها تنفرد بميزة أخرى وهي قدرتها على الانتقال ، فعندما تنتهي الأعمال الانشائية التي تغذيها هذه المعامل العائمة بالماء، تستطيع الانتقال الى مواقع عمل أخرى وتأمين حاجة العمال بالكميات اللازمة من مياه الشرب .

وقد انفردت المملكة العربيـــة السعودية بميزة أخرى كانت الأولى من نوعها . فقد وصلت الى ميناء رأس تنورة في صيف عام ١٩٧٧ أربعة فنادق عائمة بعد أن قطعت مسافة اثني عشر كيلومتراً من اليابان . وبالرغم من وجود سوابق في تحويل بواخر الركاب الضخمة الى فنادق مائية متنقلة ، الا ان هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها بناء شقق عائمة من الطوب خصيصاً لتكون مراكز سكن دائمة . وترتفع هذه الشقق خمسة طوابق وهي مزودة بجميع وسائل الراحة المنزلية من مولدات الكهرباء ، وشبكات المجاري والتبريد المركزي ، ومرافق التسلية وغيرها . وقد جلبت هذه الصنادل التي تحمل فوق سطحها الشقق السكنية بهدف تأمين وسائل السكن للموظفين الذين يعملون في مختلف المشاريع الانشائية . ويستطيع الاثنان الأكبر حجماً تأمين وسائل

منصة مطار المستقبل للمدن العائمة

السكن لحوالي ١٥٠٠ موظف في كل واحد منهما . أما الاثنان الآخران فيستطيع الواحد منهما تأمين السكن لحوالي ٧٥٠ موظفاً .

ويحتمل ان تشمل الخطوات الأخرى في مجال انشاء المدن العائمة اقامة المنشآت البحريـــة الأخرى مثل معامل توليد الطاقة ، ومعامل الكيمياء الثقيلة ، ومصانع الفولاذ ، ومعامل تكرير الزيت ، ومنشآت تخزين الزيت والمواد الغذائية ، والمطارات ومراكز الترفيه ، ومعامل معالجة النفايات ، ومراكز لمراقبة الحياة والتطورات الجيولوجية البحرية ، ومراكز للأبحاث النظرية والعلمية . ومن المؤكد أن مثل هذه المرافق العائمة سيجري استخدامها في المستقبل لانشاء المزارع البحرية على نطاق واسع بهدف انتاج أنواع المواد الغذائية المستخلصة من البحر بالاضافة الى الطحالب البحرية . ولقد أخذ الكثيرون من الناس يفكرون في تحقيق الازدهار والتقدم بالنسبة لأوجه النشاطات التي يمكن تحقيقها فوق اليابسة . وفي معظم الحالات كان التفكير في مساحة البحر وامكانية الاستفادة منها عندما يمكن ردمها فقط لزيادة رقعة اليابسة . لكن ردم مثل هذه المناطق من البحر بالمخلفات لايجاد حزام تجاري ، قد ساهم الى حد كبير



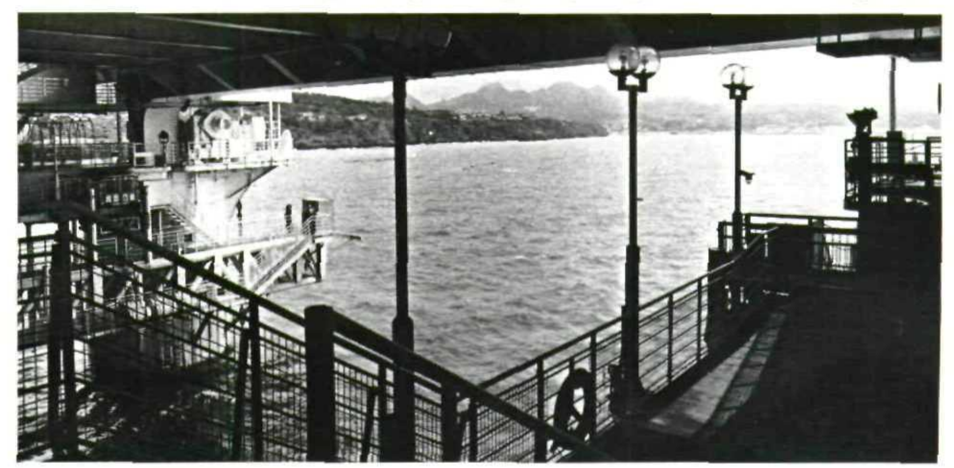


١ – مدخل أحد الأحواض الذي تبنى فيه المدن العائمة باليابان وقد ارتفعت على جوانبه المعدات لاشادة المدينة .

٢ – أحد الأحواض وهو يحتضن احدى المدن العائمة قيد الانشاء .

٣ – قد يحس المرء على ظهر المدينة العائمة وكأنه فوق ظهر احدى السفن . لكن خزانات التوازن في المدينة تعطي قدراً كبيراً من الاتزان حتى في أشد حالات العواصف .

في تلويث البحر . وهذا يعني بالتالي اننا ضحينا بالبحر بطرق مختلفة لمصلحة اليابسة . اننا اذا ما واصلنا التفكير في البحر على أنه مجرد وسيلة لزيادة مساحة اليابسة ، فانه ولا شك سيجلب الدمار للحياة البحرية . ومع ذلك ، فان البحر وما يكتنزه من خيرات وفيرة ، نحن في أمس الحاجة اليها ، قد يكون قادراً على امـــداد الملايين من البشر الذين



٣

سينضمون الى تعداد العالم في القرنين القادمين بما يحتاجونه من مواد غذائية وكذلك لتوفير المياه النقية التي سوف تستخلص بالتحلية من مياهه المالحة ، ناهيك عن ما سيوفره لنا من مساحات شاسعة لاقامة المدن السكنية العائمة على سطحه . ويقوم المهندسون المختصون باعداد تصاميم لمدن المستقبل العائمة في الوقت الحاضر ضمن نظام مغلق ، لا يسبب أي تلوث لبيئة هذه المدن ، الا أن نجاح مثل هذه التصاميم يتوقف على الاجراءات المتخذة حالياً والتي من شأنها ايجاد بيئة بحرية تستحق الرعاية والحماية بعد عشرين عاماً من الآن .

مواصفات المدينة البحرية : هي أكبر هيكل شبه عائم في العالم ، انها مدينة عائمة متكاملة تستطيع استيعاب ٢٤٠٠ نسمة ، وهي في الوقت نفسه نموذج مصغر لمجتمعات بحرية مستقلة يجري التخطيط لانشائها في المستقبل . وترتفع المدينة العائمة عن سطح الماء حوالي ٣٢ متراً ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها أكثر من مئة متر . وتتألف المدينة العائمة من ثلاثة أسطح مثبتة الى ستة عشر عموداً تهبط عمودياً الى قعر البحر مدعمة بدورها بأربعة هياكل او عوامات . ويرتبط الهيكل بواسطة شبكة مؤلفة من ست عشرة مرساة ثابتة ، وست عشرة سلسلة ، وست عشرة عوامة متوسطة ، وثماني رافعات .

وعندما تكون المدينة العائمة في حالة ارساء طبيعية فانها ترتفع فوق مراسيها الموجودة في الهياكل أو العوامات السفلية . وترتفع فوق الماء كحيوان بحري ضخم له ست عشرة رجلا . وعندما تتهددها الأعاصير يجري جرّها الى المياه العميقة على بعد حوالي مئتي متر من الشاطيء بواسطة أجهزة الرفع الثمانية وتغطس الى عمق خمسة عشر متراً .

ويتم ذلك بضخ الماء في خزانات التوازن الموجودة في الأعمدة وفي الهياكل السفلية وهي عملية تستغرق ثلاث ساعات . وعندما تكون المدينة العائمة في مثل هذا الوضع شبه الغاطس ، يكون نصف الهيكل تحت سطح الماء مما يعطي المدينة العائمة قدراً كبيراً من الثبات في وجه أقسى اضطرابات موجية أو أعاصير بحرية . وبالاضافة الى خزانات التوازن ، تضم الهياكل السفلية المضخات الخاصة بخزانات التوازن وكذلك خزانات مياه الشرب . كما تحتوي الأعمدة الثمانية الخارجية على مكابح سلسلية . وتحمل الأعمدة الرئيسية في الداخل مصاعد تربط السطوح العلوية بالهياكل السفلية . ويتم الحصول على الطاقة الكهربائية بواسطة مولدين رئيسيين طاقة كل منهما ١٢٠٠ كيلواط ساعة ، اضافة الى مولد آخر للطاقة قوته ٢٥٠ كيلواط ساعة . ويجري تزويد المدينة العائمة بحوالي ٦٦ طناً من المياه النقية عن طريق المعالجة بالضغط البخاري كما تجري معالجة حوالي ٩٠ طناً من المياه الآسنة والتخلص منها بطريقة لا تشكل أي قدر من التلوث . ويتم حرق نفايات المدينة في محرقة على مرحلتين حيث يتم فصل النفايات الزيتية وتحويلها الى مركبات زيتية ومياه نقية . ورغم أن المدينة العائمة تعتمد بشكل رئيسي على الوقود البترولي من أجل الطاقة ، فإن المدن البحرية المستقبلية ستستفيد من تسخير الطاقة الشمسية وغيرها من مصادر الطاقة الكامنة في المحيط وذلك عندما يتم تطوير التقنية الخاصة بها .

أما بالنسبة للسلامة ، فقد زودت المدينة العائمة بأجهزة لرصد الأحوال الجويـــة وأوضاع المحيط . واتجاه وسرعة الريح . وارتفاع الأمواج . والمد والجزر . واتجـــاه وسرعة التيارات المائية . ويجري تخزين هذه المعلومات في أجهزة حاسبة مهمتها مراقبة وضبط العمل فوق الهيكل . كما أن المدينة العائمة شأنها شأن المدن المشادة على اليابسة مزودة بوسائل منع الحرائق واطفائها . ومزودة أيضاً بوسائل لتصفية الدخان . وقوارب للنجاة ، وقوارب مطاطية . وصدارات للنجاة .

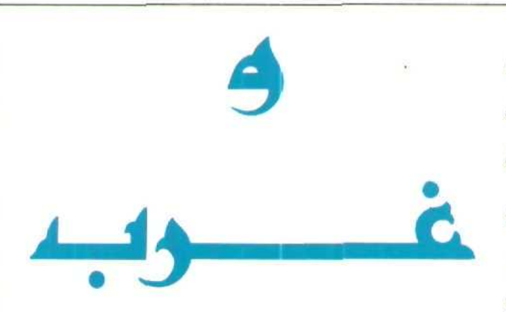
ورغم أن مزرعة أسماك المدينة العائمة ليست جزءاً متمماً للمبنى العائم ، فإنها تعتبر جزءاً من وسيلة العيش العـــامة المساندة ، نظراً لأن مثل مصادر البروتين المجمعة هذه ستكون بالتأكيد على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للمجتمعات البحرية المستقلة التي ستقام في المستقبل . وتبلغ مساحة مزرعة أسماك المدينة العائمة حوالي ٥٢ ألف متر مربع من مياه المحيط محاطة بشباك من الأسلاك والشباك الاصطناعية الأخرى . وتجري تربية حوالي ٥٠ ألف سمكة من مختلف أنواع السمك الصالحة للأكل في هذه المزرعة التي تشكل أحد المصادر الرئيسية التي تزود المدينة العائمة بالمواد الغذائية . كما أن المزرعة مزودة بأحدث المعدات . وهي تضم جهاز تغذية أوتوماتيكياً لضبط كمية الغذاء والفترات الواقعة بين كل وجبة .

وبعد ، فإن تطلعات الانسان الى المستقبل تتسم بالتفاؤل والأمل ، ولئن عزت اليابسة حيناً ، ففي البحر الفسيح متسع من المساحات لاحتضان الملايين من البشر ليعيشوا على سطحه ويقتاتوا من خيراته . وبالعلم والمعرفة يستطيع الانسان أن يحقق ما كنا نعتقد أنه من عالم الخيال ، وصدق الله العظيم حيث قال : **« ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحـــر » .**

يعـــقوب ســـلام / هيئة التحرير

عن « أويل برجريس » ــ تصوير كالتكس

شرق



من غريب المصادفات أن يلتقي شاعران في الصفات والحياة . وان يكون أحدهما شرقياً محضاً في شرقيته ، ويكون الآخر غربياً مفرطاً في غربيته . الأول عربي هو عبد الحميد الديب ، وثانيهما فرنسي هو شارل بودلير . على أن الآصرة التي ربطت أحدهما بالآخر ، والشبه الذي وحد ما بينهما لم يكن سوى الشذوذ عن المصطلح العـــام والخروج على رأي الناس ، والسير في جادة خاصة لا تشبه ما مشى عليه البشر ، والعيش في شكل لا يقره منطق ولا يريده عقل .

كان كلاهما مصدر عذاب لأهله وذويه وأصحابه والمعجبين به ، قد غذاه الحقد على الطبيعة واثارة الضغينة ، فهو قد يسيء لمن أحسن اليه ، وقد يحسن الى من لا يستحق الاحســـان .

وقد عاشا محلا للشفقة وموضوعاً للرثاء ، ومداراً لحديث الناس من المعجبين المتعجبين الى أن توفيا على صورة محزنة . وكان كلاهما من ضحايا الفن بكل ما في هذه الكلمة من اتســـاع وشمول .

كلاهما صاحب مدرسة في الشعر ، وكلاهما لقي شعره الجور والعنت كما لقي التقدير في نهاية أمره ، حتى لقد عد الشاعران من مفاخر الفن ، بما اسبغت عليهما العبقرية من فيض ونور . ولست أقول مع القائلين بأن البؤس يخلق العباقرة ، وان الأسى يفتق الفكر ويثير الفن . وانما أجد في كل ما قرأت من شعر أن الشاعر البائس لو هيىء له الجو الرحيب والسعادة الوفيرة لخرج شعره أكمل مما كان عليه ، ولانتج من الفن أكثر مما أنتج



وهو رازح تحت كابوس التعب النفسي والكدر الروحي ، والارتباك الفكري الحزين ، الا في هذين الشاعرين ، فان حياتهما تدل على أن البؤس هو الذي ذكرهما بأنهما شاعران ، وأن الحزن هو الذي كان يهيىء لهما الألفاظ ويمد أمام ذهنهما حبل القوافي فلا يكون لهما من عمل بعد هذا الا أن يثبتا ذلك على الورق فاذا القصيدة تندى بالشعر وتعبق بالوحي وتفيض بالالهام .

ولد عبد الحميد الديب في قرية تدعى « كمشيش » من أعمال مديرية الفيوم من الريف المصري في عام ١٨٩٨ وعاش في ذلك الجوّ البسيط الساذج يلعب مع لداته في الحقول والمراعي ويمتع العين بمنظر الطبيعة وبرؤية تلك الحيوانات الأليفة الحبيبة الى نفوس الأطفال فيرى فيها مشبهاً من حياته الخاصة من حيث الالفة والحنان والشفقة المتبادلة بين الوالد والمولود ، وادركه الاحساس القوى وهو بعد طفل لا يكاد يحبو ، وأحس بالحزن حين مات أحد الشباب الأقوياء وسمع بأذنه نغمة العويل والتفجع فوجد لها في قلبه غمزاً شديداً قوياً عكر عليه الصفو أياماً وسنين ، بل لقد ظلت معه هذه الذكرى الأليمة حتى مات .

ولم يكد يفتح عينيه حتى رأى المشكلة أمامه وجهاً لوجه ، المشكلة التي تقع بين الطفل وذويه ، فقد كان يحس احساساً مبهماً بحرية الانطلاق الفني ، وكان يكره التافه من الأشياء ، كما يكره النظام والتضييق ، والمدارس تتطلب هذه العيشة الرتيبة ، والحياة المرسومة المحددة ، ولقد أجبر على دخول الأزهر اجباراً ، وآثر العافية حين أخذ يقرأ الدروس الأزهرية قراءة الزاهد بها المشيح عنها .

ثم هنالك شيء آخر عرض لعبد الحميد حين غادر قريته الفقيرة وبيته المدقع ، لقد رأى الغنى عند الناس ، ورأى النعمة الوارفة فأحس بمرارة الحرمان ، وأدرك ، أنه فقير

بقلم : الأستاذ أحمد الجندي

وأن أسرته محتاجة لكل شيء في حين يرى الناس يأتيهم رزقهم رغداً فقال يصف أهله وفقرهم :

مروا على الدار يوم العيد ضيفانا
يرجون منهــا نداها كالذي كانا
والدار حين رأتهم مقبلين لهــا
تعاورت في البكا اهلا وبنيانــا
يا معشر « الديب » وافى كل مغترب
الا غريبــكم في مصر مابــانا
من كان يحسدني فليرتقب سحرا
اني على الجوع أطوي الارض حيرانا

كان الديب يعيش من قروش الأزهر وهي قليلة جداً ، ولكنه كان معرضاً للافلاس في كثير من الأحيان حين يشتهي أكلة أو يتوق الى كتاب جديد يشتريه ، وأخذت حياته الأزهرية تكون عنده شخصية جديدة فهو يرى الفقراء فيعطف عليهم ويتألم لفقرهم ، فاذا مر بأماكن الموسرين كمقهى « بار اللواء » رأى الرقاب الثخينة والبطون المتكرشة ورأى الادعياء والكبراء فتثور ثائرته ، يرحم الفقراء فيصف رغيفهم الضامر :

صغر الرغيــف كأنه هو قطعــة
من قلب تاجــره وجلد البــائع
هل صــار وهماً أو خيالا انــه
قد عــاد غير مؤمل أو نافــع

ثم يعبر عن ألم الشعب الفقير بقوله :

عادت سنون ابن يعقوب ودولتــه
وآذن المحل لا مــاء ولا شجر
حتى الرغيف فقدنــاه ولا عجب
فنحــن في أمــة أيامها عبــر

وكان عبد الحميد الديب كما قلت غريباً في كل شيء ، فهو يرجع لنفسه أحياناً كثيرة فيراها قد تردت في مهاوي البؤس ، كما يرى انه بات موضعاً للنقد الجارح ، منبوذاً من الناس فيقول لزوجته :

أفاطم ان الناس قد مزقوا عرضي
وصرت لعينــا في السماء وفي الأرض
يقولون « شمام » وما شم معطسي
سوى الروضة الفيحاء والنرجس الغض

وبعد فما عساني أن أصف لك من هذا الشخص الغريب والشاعر العجيب ، انه أفقر شاعر عاش في تاريخ الأدب العربي على ما أذكر .

ومن العجيب أن هذا البؤس المدلهم كان ينفرج أحياناً عن نكتة طريفة تخرج على فم الشاعر العجيب ، فقد عين لدى أحد الوزراء ، ولكنه لم يجد كرسياً يجلس عليه ، فظل يذرع بهو الوزارة الى أن انتهى العمل وخرج الموظفون فكتب الشاعر بطاقة أرسلها للوزير يقول فيها :

بالامــس كنت مشــردا أهليــا
واليــوم صرت مشــردا رسميا

ويموت الشاعر بعد أن جاوز الأربعين سنة من البؤس والجوع والحرمان .

أما الشاعر الآخر ، فهو غربي ، انه شارل بودلير كما قلت في أول الحديث ، والشبه بين الشاعرين هو الألم والشذوذ الذهني ، ولكن بودلير ، رغم هذا الشبه ، قد عاش عشية الموسرين في فترة من فترات عمره ، وكانت آلامه نفسية عميقة ليست في الجوع أو الحرمان او الفقر ، لأن هذه الأمور لم تؤثر فيه كثيراً بالقياس الى امور أخرى ، أشد وأدهى أثرت في تكوينه وجعلت منه رجلاً شاذاً مغضوباً عليه من جيله ، حتى لقد لقب بالشاعر الرجيم .

ولعل بؤس هذا الشاعر الكبير ، قد كان أشبه بالفلسفة لأن مصدره فلسفي أو انه يدخل في هذا الباب . أما سببه فيرجع الى نشأته التي لم تكن طبيعية ، فأبوه كبير السن ووالدته صبية جميلة أنيقة ، وجمال والدته وصباها وأناقتها كلها قد لفت نظر الصبي الحساس المرهف ، ولاحظ أن زواج أمه من أبيه غير متناسب ولا طبيعي ، يضاف الى هذا أخ له من أبيه أكبر منه بكثير ، انه أخ ، ولكن الشاعر الصغير لا يشعر باحساس الأخوة بالنسبة اليه . واثار انتباه الطفل أن أمه لاهية بأبيه وان تربيته موكولة الى خادم لا تربطه بها صلة . فأخذ النزق يدخل الى قلبه ، وراحت أعصابه تتعود على الشد والتوتر ، ويروي المؤرخون أن الخادم كثيراً ما كانت تخرج من البيت الى الحديقة لشدة صراخه .

ولم يكد الطفل يبلغ سنه السادسة حتى يموت أبوه ، وكان وراء ذلك فكرة جديدة حزينة للشاعر ، ولكنه نسي حزنه بعد أيام ووجد أمه خالية العمل تفرغت له وأخذت تسقيه من حنانها وعطفها وراح يخرج واياها في نزهات ربيعية طيبة لقي فيها أجمل أيام الحياة كما قال بعد ذلك بأعوام . ولكن هذه

شـــرق



النزهات كانت نذيراً بكارثة سوف تنقض على رأس الصبي ، وصاعقة سوف تسقط على كتف الطفل الناحل .

لقد تزوجت أمه من جديد ، وكانت في ذلك ضربة قاضية على الغلام ، وزوجها هذا لا يشبه أباه ، انه عسكري ذو رتبة وأوسمة ومهموز يضرب به أرض الدار فيسمع لذلك صوت رهيب ، وهو وقور لا يكاد يبتسم ، وشديد التقيد بالنظام بحيث يسير كالساعة لا يتقدم ولا يتأخر ، ورأى أمه وقد اخذت من الزينة مظهراً جديداً ، فهاله وارتجف جسده كله وراح وهو الطفل الصغير ، يفكر في هذا تفكيراً ساهماً يلفت نظر أمه ويعكر صفو حياتها .

وأخذ الحزن والألم يحيط بنفسه ويلفها سجفاً وراء سجف ، وأخذ الولد يكبر ويكبر تبعاً لذلك الخلاف بينه وبين عمه « الجنرال ». أما الأم فقد أخذت الدموع تسيل من عينيها بين الحين والآخر ، فهي تحب ولدها حتى العبادة وهي تعرف أن ولدها يحبها حتى الجنون ايضاً ولكنها لم تستطع الا أن تتزوج وليس الزواج بالامر الممنوع ، فما الذي أثر في عقل هذا الولد ، وما الذي جعله شاذاً لا يحتمل .

ودخل التلميذ « شارل بودلير » المدرسة فتفوق في السنين الاولى ونال الجوائز في الشعر اللاتيني فأعجب به عمه ولكن الولد نكص على عقبيه وقصر في السنين التالية مما أحنق العم وأساء الى المدرسة حتى أخرجته مطروداً . وجن جنون الجنرال وازداد الخلاف ، وأخذ الشاعر الصغير يتنقل بين مدرسة واخرى



دون أن ينجح رغم ذكائه المفرط وذهنه الخصيب ، واجتمع الى رفاقه في الشارع والمقهى فانصرف الى الحياة الجديدة المستهترة التي ستقضي على الشاعر في مستقبل الأيام .

ضاق العم ذرعاً بهذا الغلام الشاذ المتكبر الذي لا يعرف الابتسام ، وفكر في طريقة ناجعة تحد من جنونه فأرسله في رحلة طويلة الأمد خارج القارة الأوربية استمرت تسعة أشهر عاد بعدها الى باريس مسقط رأسه وقد امتلأ صحة ونشاطاً كما امتلأ حقداً على بيته واشمئزازا من عمه .

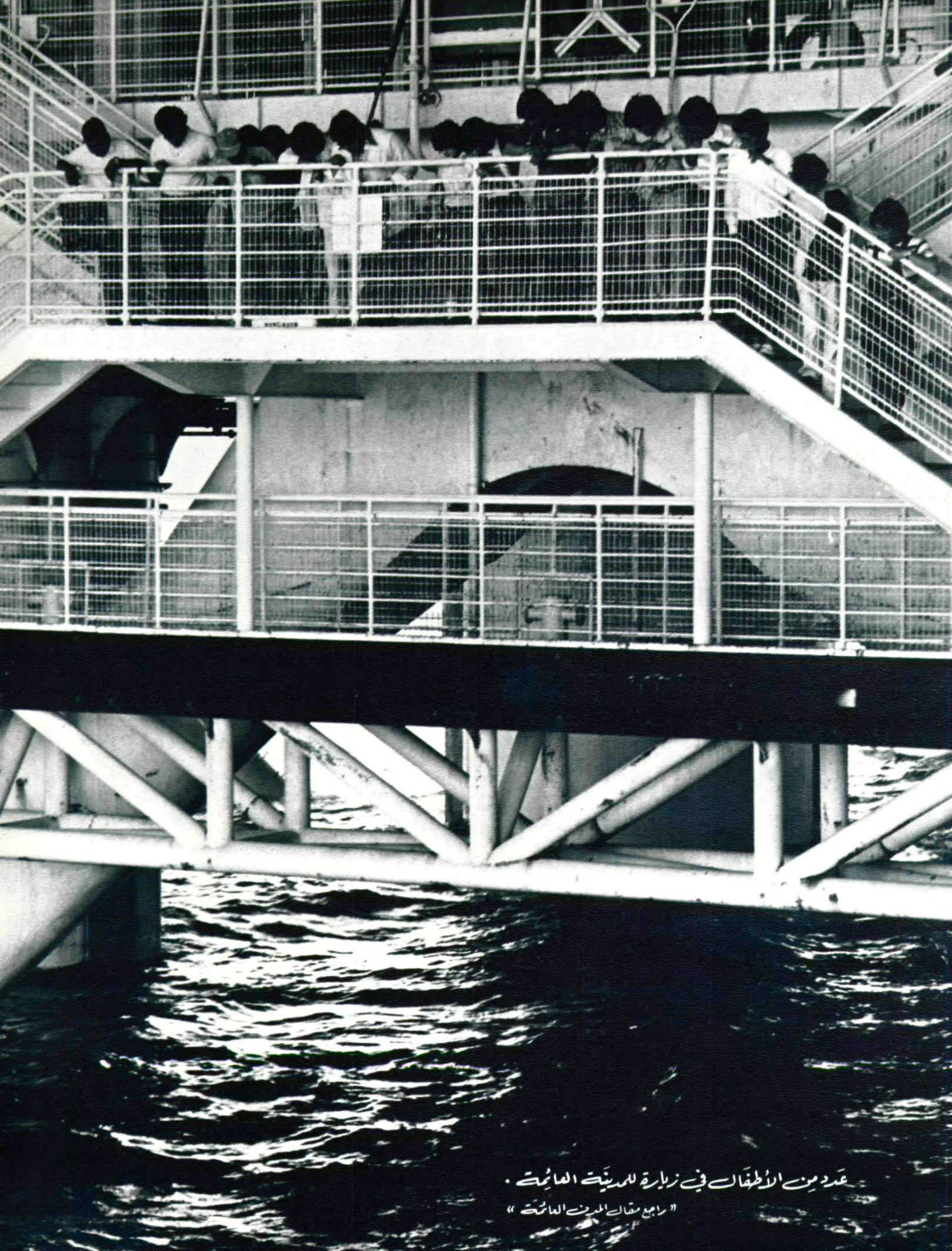
لقد أراد له عمه ان يكون رجل دولة يشتغل بالسلك السياسي ، وأراد الطفل أن يسلك جادة الفن والأدب ، وحملق « الجنرال » في وجه الولد واستغرب أن يتخذ هذا الكلام الذي يدعى بالأدب مهنة مستقلة ، كما تعجب كيف يعيش صاحب هذا الكلام ، وهو يعيش بلا عمل . أي شعر وأي أدب وأي فن يريد أن يدغدغ ذهن « الجنرال » وهو الذي خاض الحروب ، وصاح الجنرال صيحة الحانق ، وابتسم الولد الشاعر وخرج من البيت لا يلوي على شيء .

وقاربت سن الغلام الحادية والعشرين ، وفي هذه السن يستحق ميراثه ، وميراثه ضخم بالنسبة لتلك الأيام ، انه يبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ذهبي . ولم يكد يتسلم هذا المبلغ حتى ذهب يبدده في كل جهة ، ثم أزمع على الخروج من بيت أمه اذ لم يعد يحتمل لقاء عمه ، وانصرف بعد ذلك الى حياة من المجون والمرض ، ثم انتهى أخيراً الى الفقر الذي قضى عليه .

ولكن هذا اللون من الحياة لم يمنع الشاعر من أن يكون شاعراً عالمياً صاحب مذهب ورسالة ولعل ديوانه « أزهار الشر » من أروع الدواوين الشعرية .

وهكذا نصل الى نقطة الالتقاء بين الشاعر الديب والشاعر بودلير ، فقد جمعت الحياة المتشابهة بينهما وان فرق بينهما الوطن والعنصر ●

أحمد الجندي – دمشق



عَدد مِن الأطفَال في زيارة للمدينَة العائِمة .

« راجع مقال المدن العائمة »



استخدم الصناع الأساطير الشعبية كمادة للرسوم .

« راجع مقال صناعة الزجاج »